

دولة ماليزيا

وزارة التعليم العالي (KPT)

جامعة المدينة العالمية

كلية اللغات والألسنة

قسم الأدب العربي والنقد الأدبي

بردة البوصيري وأثرها في الأدب العربي

الحديث

دراسة وصفية تحليلية

بحث تكميلي مقدّم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي والنقد الأدبي

اسم الباحث: عبد الله موسى بيلا سوادغو

تحت إشراف: رئيسة قسم الأدب العربي والنقد الأدبي:

الدكتورة هلة عبد الكريم الحرتاني

كلية اللغات – قسم الأدب العربي والنقد الأدبي – جامعة المدينة العالمية

العام الجامعي ديسمبر 2012 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

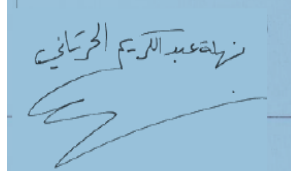
صفحة الإقرار

أقرت جامعة المدينة العالمية بماليزيا بحث الطالب (عبد الله موسى بيلا سوادغو) من الآتية

أسمائهم:

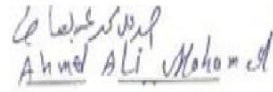
المشرف

د. همة عبد الكريم الحرتاني



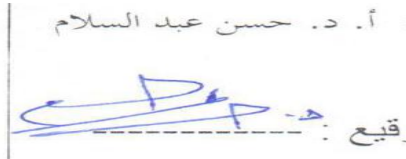
المتحن الداخلي

د. أحمد عبد العاطي



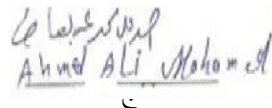
المتحن الخارجي

د. حسن عبد السلام



أحمد محمد عبد العاطي

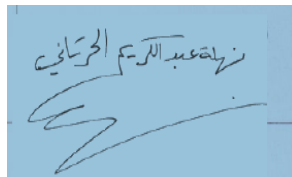
الرئيس



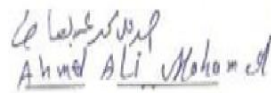
APPROVAL PAGE

The dissertation of (ABDALLAH MOUSSA MOUSSA BILA
:) has been approved by the following

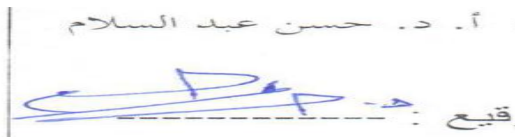
Supervisor



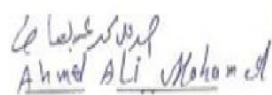
Internal Examiner



External Examiner



Chairman

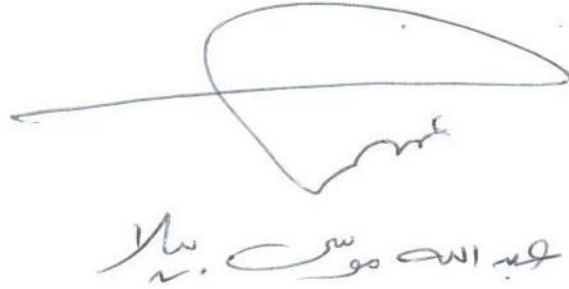


إعلان

أقر بأن هذا البحث هو من عملي الخاص، قمتُ بجمعه ودراسته، وقد عزوت النقل والاقْتباس إلى مصادره.

اسم الطالب: عبد الله موسى بيلا سوادغو

التوقيع:



عبد الله موسى بيلا سوادغو

التاريخ:

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my own investigation, except where otherwise stated

Student's name: ABDALLAH MOUSSA MOUSSA BILA

:Signature



The image shows a handwritten signature in black ink. The signature is stylized, starting with a long horizontal line that loops back to the right, then curves down and back up to the right, ending in a small flourish. Below the main signature, there is a smaller, less legible handwritten mark that appears to be the student's name in Arabic script.

:Date

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع 2009 © محفوظة لـ الباحث: عبد الله موسى بيلا سوادغو

بردة البوصيري وأثرها في الأدب العربي الحديث

دراسة وصفية تحليلية

بحث تكميلي مقدّم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي والنقد الأدبي

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

1. يمكن الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه.

2. يحق لجامعة المدينة العالمية بماليزيا الإفادة من هذا البحث بشق الوسائل وذلك لأغراض تعليمية، وليس لأغراض تجارية أو تسويقية.

3. يحق لمكتبة جامعة المدينة العالمية بماليزيا استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أكّد هذا الإقرار: عبد الله موسى بيلا سوادغو



عبد الله موسى بيلا

(ملخص البحث)

يتلخص البحث في مقدمةٍ تتحدث عن الشعر بصفة عامة، وقصيدة البوصيري خاصةً ذات الأثر الواضح في شعر المديح العربي بشكلٍ عام والمعاصر منه بوجه الخصوص، متضمناً الأسباب الداعية إلى اختيار قصيدة البوصيري تحديداً، مع تبيان المنهج الذي اعتمده في البحث، يلي ذلك تمهيدٌ يسلّط الضوء على الشعر والشعراء وارتباطهم بغرض المديح منه خاصةً، معرّجاً على أهم شعراء المديح النبوي من الصحابة الكرام، وتخصيص قصيدة البردة بالتعريف بها وبشاعرها والدواعي التي أوجّهته إلى كتابتها، وذكر طرفٍ من القصيدة، وما رافقها من القصص والحوادث، إضافةً إلى إبراز القيمة الفنية التي تحصّلت القصيدة عليها من بين سائر شعر المديح النبوي، إضافةً إلى الإلماع إلى دور القصيدة في إنشاء فن البديعيات، يلي ذلك فصلان، يحتوي كلٌّ منهما على مبحثين، عنوان الفصل الأول " فن المعارضة الشعرية " ويتطرق المبحث الأول من هذا الفصل إلى إيضاح مفهوم المعارضة الشعرية، والدوافع الداعية إليها، إضافةً إلى عرض نماذج لبعض المعارضات الشعرية، وفي المبحث الثاني يتم استعراض نماذج شعرية من القصائد التي عارضت بردة البوصيري.

وفي الفصل الثاني المعنون بـ " نظرات في قصيدة البردة وأثرها في الأدب الحديث " هناك مبحثان، أولهما يركّز على إظهار الصور الفنية التي اتسمت بها قصيدة البردة، بينما يتحدث المبحث الثاني عن أثر البردة في الأدب العربي الحديث، وهذا الأثر بلا شك يتعلق بالشعر أولاً، إضافةً إلى بعض الدراسات النقدية والفنية لقصيدة البردة، والدراسات الأكاديمية التي تعرّضت للبردة، وما يظهر من التعلّق البسيط للبردة ببعض الفنون الحديثة كالمقالات الأدبية، والمسرح العربي المعاصر.

- Abstract –

Boils down search at the forefront of talking about poetry in general, and a poem Busayri private impact is clear in the poetry of praise Arab world in general and contemporary of it in particular, including the reasons for selecting a poem Busayri specifically, indicating the approach adopted in the research, followed by booting highlights poetry and poets and their association to praise him especially, with quartz on the most important poets praise the Prophet of noble Companions, and the allocation of a poem Burda definition by the Bashaaraa and his reasons to be written, and said part of the poem, and the accompanying stories and incidents, as well as highlighting the artistic value which obtained poem from among the other hair praise the Prophet, in addition to the reference to the role of the poem to create art Alibdieiat, consisting search of two, each of them on Mbgestin, the title of Chapter I, "the art of opposition noodles" and touches first section of this chapter is to clarify the concept of opposition noodles, and the reasons for it, in addition to the presentation models for some oppositions noodles, and in the second section are reviewed lattice models of poems .which opposed impermeable Busayri

In the second chapter, entitled "looks in a poem Burda and its impact on modern literature" There two issues, the first focuses on the show art images that characterized the poem Burda, while speaking the second section on the impact of purdah in modern Arabic literature, and this effect is undoubtedly the hair first, and some monetary and technical studies of the poem Burda, in addition to academic studies that were impermeable, and some simple attachment of impermeable some modern art, such as .articles, literary, and contemporary Arab theater

(شكرٌ وتقدير)

يسرني أن أتقدم بالشكر والعرفان - بعد شكر الله تعالى - إلى سعادة رئيسة قسم الأدب العربي والنقد الأدبي، الدكتورة هالة عبد الكريم الحرتاني، المشرفة على هذا البحث، والتي لم تأل جهداً في توجيهي وتصويبي وإرشادي طيلة الأيام والأشهر التي قضيتها في كتابة هذا البحث، فقد كانت -جزاها الله خيراً- خير معوانٍ لي على ترسُّم الطريقة الصحيحة لإنجاز هذا البحث، متوخيةً الدقة في القراءة ومراجعة كل ما أبعث به إليها وإعادة توجيهه إليّ بكل تفانٍ وتقدير، وإنني إذ أقدر جهودها الكبيرة، أشكرها على صبرها الذي أبدته إزاء ما حدث من الأخطاء والسقطات مني في كتابة البحث، فلها أصدق الدعوات مني بالتوفيق وعظيم الأجر والعاقبة.

ولا يفوتني أن أشكر جامعة المدينة العالمية ممثلةً بإدارتها الكريمة، وكلية اللغات، وتحديدًا قسم الأدب العربي والنقد الأدبي، على إتاحتهم الفرصة لي للدراسة بالجامعة وإتمامها على خير ما يُرام، والله الحمد والمنة.

وأقدم بخالص الشكر للجنة المناقشة الموقرة التي تفضلت بقبول مناقشة بحثي وتقويمه، وتقديم الملاحظات القيمة التي تثري البحث.

كما أشكر كل الأصدقاء الذين لم يخلوا في تزويدي بالمصادر والمراجع المتاحة في داخل السعودية، والتي بحق هي مراجع شحيحة للغاية، ولكن الله منّ عليّ بالوقوف على بعض المصادر والمراجع الأصلية الموجودة ببعض المكتبات العتيقة.

وأرجو أن يمنَّ الله تعالى على كل من ساندني لإتمام هذا البحث بالنعمة والعافية، وأن يجعل هذا البحث مفيداً ونافعاً لكل مطلعٍ عليه وباحثٍ عن العلم و المعرفة، والله الحمد من قبل ومن بعد، هو نعم المولى ونعم النصير.

فهرس المحتويات

5.....	المقدمة
7.....	المقهيء
18.....	الفصل الأول : فن المعارضة الشعرية ومعارضات البرءة
19.....	المبءء الأول : المعارضة الشعرية: مفهوما، والدوافع الداعية إليها، ونماءج منها
21.....	مفهوم المعارضة الشعرية
22.....	الدوافع الداعية إلى المعارضة
26.....	نماءج من المعارضات الشعرية
33.....	المبءء الثاني : المعارضات الشعرية للبرءة
48.....	الفصل الثاني : نظرات في قصيدة البرءة وأثرها في الأءب الءءء
49.....	المبءء الأول : الصور الفنية في قصيدة البرءة
70.....	المبءء الثاني : أثر البرءة في الأءب الءءء
73.....	أثر البرءة في المعارضات الشعرية
87.....	أثر البرءة في البءيعيات
90.....	أثر البرءة في الشعر الصوفي
91.....	أثر البرءة في فن المسرح
93.....	أثر البرءة في التأليف والشروح
97.....	أثر البرءة في الدراسات الأكاءمية
99.....	أثر البرءة في فن المقالة
101.....	الءاءمة

المقدمة

ارتبطت شهرةُ الكثير من الشعراء بقصائدَ محلّقة، كانت واسطة عقد قصائدهم وأقدرها على التحليق لأعلى سماوات الشهرة والخلود الإبداعي، حتى فاقت شهرةُ بعض القصائدِ قائلها، وقد عرف تاريخ الأدب العربي بعض الشعراء الذين سَطَّروا أسماءهم في قائمة مبدعي الشعر والمبرزين فيه بقصيدةٍ واحدةٍ لا غير. ولنا في أبي البقاء الرُّندي صاحبِ النونيةِ الأندلسيةِ الحزينة، لنا في هذا الشاعر المثل الحقيقي الواضح للحالة سالفه الذكر.

وسيكون مجال البحث هنا " بردة البوصيري وأثرها في الأدب العربي الحديث"، مقارناً لهذا المجال الذي يقف فيه الشاعرُ مرتبطاً بقصيدته، وتقف هي مرتبطةً به، وشاعرنا هو الإمام محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري، المولود عام 608هـ - المتوفى عام 696هـ، وقصيدتنا هي بردة المديح المباركة، التي نسجها الشاعر في مديح النبي صلى الله عليه وسلم والاستشفاع به.

وقد وقع اختياري على كتابة البحث في موضوع "بردة البوصيري وأثرها في الأدب العربي الحديث" إيماناً بأهمية هذه القصيدة وما أحدثته من ثورةٍ في حقل الكتابة الشعرية المدحية المتعلقة بجناب نبي الإسلام محمد -صلى الله عليه وسلم-، وسأورد هنا الأسباب الداعية إلى اختيار الكتابة في هذا الموضوع بشكلٍ تفصيلي :

أولاً: الوقوف على واحدة من أهم قصائد المديح النبوي وأكثرها شهرةً وجرياناً على الألسنة، وهي قصيدة البردة للبوصيري والتعريف بها وبشاعرها باختصارٍ غير مخل .

ثانياً: المرور على فن المعارضة الشعرية لارتباطها بقصيدة البردة ارتباطاً وثيقاً، واستجلاء الأثر الذي أحدثته قصيدة البردة في إنحاض هذا الفن قديماً وحديثاً .

ثالثاً: البحث عن بعض اللوحات والصور الفنية في قصيدة البردة، ومحاولة قراءة الأثر الذي

أحدثته قصيدة البردة في الأدب الحديث وفي الشعر بشكلٍ خاص .

وسيقوم منهج البحث وصف النصوص التي سيتضمنها البحث وتحليلها، معتمداً ما كُتب في هذا المجال من دراساتٍ مستقلة أو منفصلة في المؤلفات التي اهتمت ببردة البوصيري من حيث الشرح أو الأثر أو الترجمة.

وسيكون مجال البحث محصوراً في تمهيدٍ يحوي غرض المديح في الشعر العربي كتوطئة للحديث عن قصيدة البردة للبوصيري، مروراً ببعض النصوص الشعرية التي مهّدت وأسّست لفن المديح النبوي، وتحديداً قصيدة كعب بن زهير التي ألقاها أمام النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- بعد إعلان إسلامه. مع ذكر بعض الصحابة الشعراء.

مروراً بقصيدة البوصيري "البردة" مشفوعةً بترجمة موجزةٍ للشاعر، وظروف كتابتها ومكانتها بين قصائد المديح النبوي، وأثرها في نشوء فن البديعيات . وسيكون البحث على فصلين وأربعة مباحث.

في المبحث الأول من الفصل الأول سأعرض لفن المعارضة الشعرية، ومفهومها والدوافع الداعية إليها، مع ذكر نماذج لبعض المعارضات الشعرية .

بينما سيتم تخصيص المبحث الثاني للحديث عن المعارضات الشعرية لقصيدة البردة، وعرض نماذج من هذه القصائد والتعريف الموجز بشعرائها .

وسيحوي الفصل الثاني على مبحثين يتعلقان بقصيدة البردة، وسأتحدث في المبحث الأول عن بعض الصور الفنية التي تميّزت بها قصيدة البردة .

بينما سيكون المبحث الثاني مخصصاً لإجلاء الأثر الذي أحدثته قصيدة البردة في الأدب العربي الحديث في شتى الجوانب المتاحة، والتي يتيسر المرور عليها .

والله أسأل أن يوفقني، إنه هو القادر على كل شيء، وهو حسبي ونعم الوكيل.

" تمهيد "

ارتبط العربُ قديماً بالشعر، حتى أصبح الواسطة الوثيقة والعروة التي لا تنقطع بينهم وبين مجتمعاتهم التي كانت تأنس بطبيعة فطرتها إلى الشعر وتطرب له، فأعطت الشاعر بذلك مكانةً اجتماعية لا يملكها أحدٌ سواه من وجهاء المجتمع ورموزه، فصار الشاعر بذلك لاعباً أساسياً في كل أحداث المجتمع ومتغيراته .

وقد تعددت ضروبُ الشعرِ وأغراضُه ، وتنوعت طرائقه التي سلكها الشعراء ، وكلما تطور الزمن والبيئة تطورت هذه الأغراض والطرائق، ولكنَّ غرض المديح قد يكون هو أكثر الأغراض شهرةً واستخداماً من الشعراء، وهو الغرضُ الأقدرُ على التأثيرِ في نفوسِ الناسِ والأقدر على شحذ هممهم لكل جميلٍ ومعروف، ناهيكَ عن الخلودِ والصيتِ الذي يكتسبه الممدوحُ من المادح .

وكان الشعراء في العصر الجاهلي ميالين إلى المديح الفطري والذي لم يكن التكسبُ سبباً مباشراً له، بل كانوا في الكثير من مدائحهم يمدحون القبيلة بعينها دون انتقاء أفرادٍ معينين منها، ثم تحول المدح في العصور اللاحقة إلى أداةٍ تكسبُ يكتبه الشعراء فيمن يستحق ولا يستحق من ذوي السلطان والمال والجاه، يقول الدكتور علي الوردي في كتابه "أسطورة الأدب الرفيع" (... فنراهم يتقدمون بين يدي ممدوحهم بقصائد عجيبة من الشناء الغالي . وهم لا يترددون أن يجعلوه ملاكاً في صورة إنسان، وخير من ركب المطايا، ولكنهم لا يكادون يجدون جائزته غير كافية حتى يقلبوا عليه ظهر المحن، ويجعلوه ألن خلق الله طراً . وقد نشأ من جراء ذلك في الناس معيارٌ مزدوج تجاه الشعراء، فصاروا لا يكثرثون حين يجدون الشاعر

يمدحُ من لا يستحق المدح ثم يذمه بعد ذلك ! وأمست جودة الشعر تُقاسُ عندهم بحسن ألفاظه لا بصحة معانيه . وانتشر بينهم قول القائل: ((أعذب الشعر أكذبه!))¹.

ومن قصائد المديح التي شدت أطنابها في خباء الشعر العربي معلقة زهير بن أبي سلمى التي أنشأها في مدح سيدين كريمين من ذبيان هما هرم بن سنان و الحارث بن عوف، وذلك أنهما قد تكفلاً بدفع ديات جميع القتلى في حروب داحس والغبراء التي امتدت أربعين سنة، حقناً للدماء ، وإغماداً لسيف الفتنة والعداوة . ومما قاله زهير في مدح هذين السيدين :

فأقسمتُ بالبيت الذي طاف حوله رجالٌ بنوه من قريشٍ وجرهم
م يميناُ لنعم السيدان وحدثما
على كل حال من سحيل و مير

ومن شعر المديح الجيد في العصر الجاهلي قصيدة الأعشى في مدح الأسود بن المنذر اللخمي، وكان قد أغار على الحليفين أسد وذبيان ، ثم أغار على الطَّفِّ³، فأصاب نعماً وأسرى وسبى من بني سعد بن ضبيعة بن قيس بن نعلبة رهط الأعشى والأعشى غائب ، فلما جاء إليه وأنشده هذه القصيدة سأله أن يهب له الأسرى ففعل.
ومن أبيات القصيدة :

لا تشكِّي إليَّ من ألم النسـ عـ ولا من حفاً ولا من كلالِ
لا تشكِّي إليَّ وانتجعي الأسـ ودَ أهلَ الندى وأهلَ الفعالِ

وقد حفل ديوان الشعر العربي والجاهلي منه تحديداً بالكثير من النماذج الشعرية التي اعتنت بالمديح وتفننت في نظمه، وفي بداية صدر الإسلام ودخول الناس في دين الله أفواجاً تغيرت

¹ الوردى، علي، أسطورة الأدب الرفيع، ط1 (دار الوراق للنشر المحدودة - بيروت - لبنان 2009) ص 255

² الشيباني أبي عمرو ، شرح المعلقات التسع ، تحقيق وشرح عبد المجيد هو ، ط 1 (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان - 2001/1422) ص 192

³ الطَّفُّ: طِفُّ الفُراتِ، وَهُوَ الشَّاطِئُ. (الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب ، ط 1 - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - 2001) ج 13 ص 206

⁴ البغدادي، عبد القادر بن عمر ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ط 4 (مكتبة الخانجي - القاهرة - مصر -1997/1418) ج 9 ص 570

الكثير من المفاهيم الجاهلية التي كانت مسيطرةً على المجتمعات ومساهمةً في تشكيل الوعي الثقافي والأدبي والاجتماعي والديني لها، ومن هذه المفاهيم التي شملها التغير مفهوم الشعر بشكلٍ عام والمديح خاصة، فقد جاء في الذكر الحكيم ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (227) ¹

هذه الآيات بلا شك قد أثرت في نفوس الشعراء الجاهليين الذين دخلوا الإسلام والتزموا بشعائره، وإن لم تكن هذه الآيات لتنتهي عن الشعر بالمطلق القطعي، ولكنها أعطت إشاراتٍ إلى أن الشعر ما لم يكن نُصرةً لله ولرسوله وللمظلومين، فإنه منبوذٌ هو وكاتبه، والغوايةُ صفةٌ لازمةٌ لمن يتبعون الشعراء المنبوذين ويُعجبون بهم .

وكان موقفُ النبي -عليه السلام- من الشعراء المؤمنين موقفَ المؤيِّدِ والمساندِ والمحرِّضِ لهم على كتابة الشعر، ولم يغفل عن استخدام الشعر كوسيلةٍ حرييةٍ نفسيةٍ توقعُ الوهنَ والخورَ في نفوس أعداء العقيدة، وكان يقول لشاعره حسان بن ثابت: (اهجهم وهاجهم وجبريلُ معك) ²، وكان يستحسن من الشعر ما هو حسن؛ وعُرف بعض الشعراء بلقب شعراء النبي -صلى الله عليه وسلم- وهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة. ³

¹ القرآن الكريم، سورة الشعراء الآيات (224 - 227)

² صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، 6 / 221، تحقيق محمد زهير الناصر، ط1 (دار طوق النجاة - بيروت - لبنان - 1422) ج6 ص 221

³ المقرئزي، أحمد بن علي، إمتاع الأسماع، تحقيق محمد النميسي، ط1 (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - 1420 - 1999) ج10 ص 42

- وقد أبلى هؤلاء الشعراء الثلاثة بلاءً حسناً في الدفاع عن العقيدة الإسلامية مع تفاوتٍ كبيرٍ بينهم، لتأخر إسلام بعضهم، ولكلٍ منهم قصائد في الذب عن الإسلام ومدح النبي عليه السلام- وهجاء المشركين، وإرساء قواعد جديدة في المديح النبوي.
- ثم جاء من بعدهم الصحابي الشاعر كعب بن زهير ليصوغ قصيدته الشهيرة في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم- وهي القصيدة التي تجاوزت في شهرتها غيرها من قصائد الصحابة في مدح النبي -عليه الصلاة والسلام- التي ألقاها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، فكافأه النبي -صلى الله عليه وسلم- بإهدائه بردته الشريفة، وقد جاء في بعض أبياتها :

<p>أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْ- لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَ لَمْ لَقَدْ أَقَوْمٌ مَقَامًا مَا لَوْ يَقَوْمٌ بِهِ لَظَلَّ يُرْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي لَا أَنْازِعُهُ</p>	<p>وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ قُرْآنٍ فِيهَا مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلُ أُذِنَ لَوْ كَثُرَتْ عَنِّي الْأَقَاوِيلُ أَرَى وَ أَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْفَيْلُ مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلُ فِي كَفِّ ذِي نَقِمَاتٍ قَيْلُهُ الْقَيْلُ¹</p>
--	--

وهكذا إلى نهاية القصيدة الشهيرة التي نالت شهرتها من بين قصائد المديح النبوي وأخذت اسم البردة تبركاً بإهداء النبي -صلى الله عليه السلام- برده للشاعر كعب بن زهير بعد فراغه من إلقاء القصيدة.²

وكان هناك شعراء آخرون عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة ونسجوا قصائدهم في مديحه، ولكن لم يغلب شعرهم على شعر حسّان بن ثابت وكعب بن

¹ السكري، صنعة الإمام أبي سعيد، ديوان كعب بن زهير، شرح د. مفيد قميحة، ط 1 (دار الشواف للطباعة والنشر - الرياض - السعودية - 1989/1410) ص 109

² وقد شكك بعض العلماء في صحة هذه القصة بعمومها وتحديدًا قصة إهداء النبي -صلى الله عليه وسلم- برده لكعب بن زهير بعد انتهائه من إنشاد قصيدته، قال ابن كثير رحمه الله في (البداية والنهاية) 372/4 بعد ذكره القصة :
"وهذا من الأمور المشهورة، ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه، فالله أعلم".

مالك وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير، جاء في كتاب "إمتاع الأسماع" (اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحه بالشعر جماعة من الرجال والنساء، ذكر من ذكره منهم الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر نحو مائة وعشرين ..)¹.

ومن الشعراء الصحابة الذين مدحوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولكن لم يشع ذكركم كسابقهم من شعراء الرسول -صلى الله عليه وسلم- العباس بن عبد المطلب، وزهير بن سرد، والنابغة الجعدي، وأنس بن زنيم بن مالك، ومالك بن عوف .

ومنذ زمن النبوة والشعراء يتسابقون في نظم الشعر بمدحون به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وما زالوا كذلك يحاولون بلوغ الشأ والغاية في المديح النبوي ويتنافسون في ذلك خير التنافس، إلى أن أذنت القصيدة لشاعر ما أن يكتب في مديح النبي -عليه الصلاة والسلام- قصيدة يجوز بها الصيت والخلود بين شعراء الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومادحيه، وهذا الشاعر هو الإمام محمد البوصيري² صاحب قصيدة "البردة" التي طبقت بشهرتها الآفاق .

وتعريف البردة من حيث اللغة كما جاء في لسان العرب :

(البرْدُ ثَوْبٌ فِيهِ خُطُوطٌ وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ الْوَشْيَ، وَالْجَمْعُ أَبْرَادٌ وَأَبْرُدٌ وَبُرُودٌ. وَالْبُرْدَةُ:

كِسَاءٌ يُلْتَحَفُ بِهِ، وَقِيلَ: إِذَا جُعِلَ الصُّوفُ شُقَّةً وَلَهُ هُدْبٌ، فَهِيَ بُرْدَةٌ)³.

¹المقريزي، مرجع سابق، ج 10 ص 42

²هو الإمام محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، شرف الدين، أبو عبد الله، نسبته إلى بوصير (من أعمال بني سويف، بمصر) أمه منها. وأصله من المغرب من قلعة حماد من قبيل يعرفون ببني حنون. ومولده في بمشيم من أعمال البهنساوية (الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام - ط 15 (دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - 2002 - ج 6 ص 139). وقد برع الإمام البوصيري بالخط والإنشاء والنظم، وأخذ التصوف على الطريقة الشاذلية عن الشيخ أبي العباس المرسي الشاذلي (ت 686 هـ / 1287 م) (درنيقة، محمد، معجم أعلام شعراء المديح النبوي - ط 1 (دار ومكتبة الهلال - بيروت - لبنان - 1996 - ص 353)

³الأنصاري، محمد بن علي ابن منظور، لسان العرب، ط 3 (دار صادر - بيروت - لبنان - 1414 هـ) ج 3 ص 87

ومن حيث الاصطلاح الذي تم التعارف عليه يمكن الركونُ إلى ما جاء في كتاب "مفاتيح العلوم" للخوارزمي، وجاء فيه :

(البردة: بردةٌ كان كساها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كعبُ بن زهير الشاعر فاشتراها منه معاويةُ والخلفاءُ يتوارثونها أيضاً).¹

والقصيدةُ قد كُتبت على البحر البسيط، وهي ذات لغةٍ نقيةٍ وجرسٍ إنشادي، وهذه أبياتٌ مقتطفة من القصيدة:

أمنُ تذكر جيرانٍ بد ي سلم² مزجتَ دمعا جَرَى من مقلّةٍ بدم
أم هبّت الریح من تلقاء كاظمّةٍ وأومض البرق في الظلّماء من إضم
فما لعينيك إن قلت أكففا همّتا وما لقلبك إن قلت استفق يهم

ثم يقول في معرض الثناء والمديح النبوي:

ظلمتُ سنّة من أحيا الظلام إلى ظلمتُ سنّة من سغب أحشائه وطوى
وراودته الجبالُ الشّم من ذهبٍ وأكدت زهده فيها ضرورته
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخ رج الدنيا من العدم

¹ الخوارزمي، محمد بن أحمد، مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2 (دار الكتاب العربي - دمشق - سوريا - 1989) ص

² ذي سلم موضع بين مكة والمدينة، قرب قديد.

³ الحفظ من الخطأ والعصمة منه.

وخرجت من بيتي،¹ ولم أكن أعلمت بذلك أحداً، فلقيني بعض الفقراء فقال لي: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: أي قصائدي؟ فقال: التي أنشأتها في مرضك، وذكر أولها وقال: والله إني سمعتها البارحة وهي تُنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأعجبته وألقى على من أنشدها بردةً! فأعطيته إياها. وذكر الفقير ذلك وشاعت الرؤيا).²

ومما يزيد من قوة العامل العاطفي ارتباطه بالدين وبالغيبيات غير المحسوسة، وهي مؤثرة بلا شك في النفوس، وداعية إلى الإيمان بقدرته الله تعالى التي تفوق كل قدرة، وعندها لا يكون شيء أسلم للعبد من التسليم بها واعتبارها كرامةً لولي من أولياء الله تعالى، وبهذا تنال الكرامة الشاعرَ والقصيدة، وهذا ما حظيت به قصيدة الإمام البوصيري .

بل يذكر صاحب كتاب "ثلاثية البردة" ما هو أعجب مما سبق فقد جاء في كتابه: (ونسج البعض حول هذه القصيدة الكثير من القصص والخيالات، بل وضعوا لها شروطاً عند قراءتها مثل استقبالهم القبلة والوضوء وغيرهما، ثم جعلوا لها المناقب والفضائل، كما احتقر نسخها وتأجيرها، وشاعت هذه القصيدة وبخاصة في حلقات الذكر والمريدين وغيرهم، وظلت البردة على الرغم من طعن بعض الفقهاء فيها ذات مكانة مقدسة عند بعض المسلمين).³

ويقول الدكتور محمود علي مكّي في كتابه "المدائح النبوية": (تُعد البردة بحق من خير ما نُظم في المديح النبوي، والغريب أن البوصيري في سائر شعره الذي احتفظ به ديوانه لا يعدو مرتبة الشعراء المتوسطين، وأنه عاش في عصر غلب على الشعر فيه الزُخرفُ المتكلفُ، والصنعةُ التي تُفقد الشعر روحه، وتجعله أشبه بجسدٍ محنط؛ والبردة نفسها لا تخلو من هذا التكلف ومن المحسنات البديعية، لكن البوصيري بلغ فيها من صدق التعبير إلى مستوى لم

¹ درنيقة، مرجع سابق، ص 353

² البوصيري، مرجع سابق، ص 14

³ حسين حسن، مرجع سابق، ص 50

يقاربه سائر شعره، وحتى الزخارف اللفظية نفسها أتت في أكثر الأحيان مقبولةً لا يضيق بها الذوق. وهذا هو ما ضمن للبردة شهرةً وذيوعاً لم تبلغهما أيُّ مدحةٍ نبويةٍ أخرى، على كثرة ما نُظِمَ في عصرها وبعد ذلك حتى اليوم، وهو ما يفسّر اهتمام الأدباء والعلماء بها من عربٍ وغير عرب، بشكلٍ لا نكاد نجد له مثيلاً مع أيِّ نصٍّ شعريٍّ آخر. فقد أحصى بروكلمان¹ من شروحيها المخطوطة المحفوظة في مكتبات العالم أكثر من مائة شرح، فضلاً عما فُقد، ومن التشطيرات والتخميسات وما إليها ما يزيد عن هذا العدد، أمّا المعارضات فإنها لا تكاد تُحصى، ومازلنا نرى حتى اليوم من الشعراء من تستهويهم معارضة البردة والنظم على نهجها...²

وقد اعترف الشعراء بمكانة هذه القصيدة واثنوا عليها أيما ثناء، واعترفوا بقصورهم عن إدراك شأوها الذي بلغته، وهذا مما يُستغربُ من الشعراء الذين لا يكادون يعترفون في النادر لشاعرٍ بالسبق والجودة، ولكنهم رضخوا أمام هذه القصيدة وشاعرها الإمام .
ونجد مثلاً لذلك في اعتراف أمير الشعراء أحمد شوقي ب إعجابه وتقديره للإمام البوصير بحيث يقول :

المادحون وأربابُ الهوى تبعُ لصاحب البردة الفيحاء ذي القدم
الله يشهد أني لا أعارضه من ذا يعارض صوبَ العارض العرم³
ويضيف صاحب كتاب "ثلاثية البردة " أن هذه البردة ما زالت تردد في كل بقاع العالم الإسلامي وما زالت تحتل المكان الأول بين المدائح النبوية وكل الأشعار التي خاض ناظموها هذا المجال شرفاً لهم.

¹كارل بروكلمان، مستشرق ألماني مشهور، وُلد بمدينة روستوك الألمانية عام 1868م، أتقن العربية، ودرس السريانية، والآرامية الكتابية، وأتقن العبرية، اهتم بدراسة التاريخ الإسلامي وله في هذا المجال كتاب مشهور (تاريخ الشعوب الإسلامية). ومن أشهر مؤلفاته كتاب (تاريخ الأدب العربي)، مات في العام 1956م. (الموسوعة الحرة، ويكيبيديا)

² مكّي، الدكتور محمود علي، أدبيات المدائح النبوية، ط1 (مكتبة لبنان و الدرا المصرية العالمية للنشر لونجمان - القاهرة - مصر - 1991) ص 128 و 129

³حسين حسن، مرجع سابق، ص 119

و حين نقول (نهج البردة) ، فلننا لسنا بحاجة إلى تفسير كلمة نهج إذ يتبادر للذهن مباشرة أن الشاعر قد سار فيها على طريق البردة ، كون البردة حظيت بمكانة لم تصل إليها أي قصيدة سواها ، وبخاصة عند أهل التصوف وشطرت وخمست وسبعت، وإذا كان مقياس خلود العمل الأدبي هو الاهتمام من الناس والانتشار ، فإن البردة نالت الخلود والشهرة في العالم الإسلامي، واحتلت مكانة أدبية فريدة في الأدب العربي وفي الآداب العالمية، فترجمت إلى عدة لغات كالفرنسية والألمانية والإنجليزية بالإضافة إلى معرفة الفئات المسلمة لها في الهند وباكستان وإيران وغيرها، وتأثر الكثير من شعراء هذه الدول بقصيدة البردة والشعر الصوفي، وبخاصة الشاعر محمد إقبال حيث نجد في قصائده الأولى تأثير الصوفية إذ يقول:

قد كان هذا الكون قبل وجودنا	روضا وأزهاراً بغير شميم
والورد في الأكمام مجهول الشذى	لا يرتجى ورد بغير نسيم
بل كانت الأيام قبل وجودنا	ليلاً لظالمها وللمظلوم
لما أطل محمد زكت الربا	واحضر في البستان كل هشيم
وأذاعت الفردوس مكنون الشذى	فإذا الورى في نضرة ونعيم

1

ويعدُّ الشعراء الم ادحون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن البردة كالدستور للشعر والشعراء، فقد نسج على منوالها كثير من الشعراء.... وقد سارع كثير من الأدباء والنقاد إلى شرح البردة، كما لقيت هذه القصيدة من الاهتمام والدراسة والبحث والمقارنة والمعارضة والتنقيب في أغوارها للوصول إلى نفسية الشاعر وروحانيته الشيء الكثير.² وكان من أثر هذه القصيدة أن أنبتت في أرض الشعر والمديح بشكل خاص شجرة طيبة راسخةً بأسقة القامة تُسمى بفن البديعيات، وهو من الفنون المحدثّة في الأدب العربي والشعر خصوصاً. ويُعتبر فن البديعيات من الفنون الأدبية التي جاءت متأخرةً زمنياً إذا نُظر إلى زمن

¹ الغوري، سيد عبد الماجد، ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة، ط 3 (دار ابن كثير للطباعة والنشر - بيروت - لبنان -

2007/1428) ج 1 - بتصرف - ص 93

² حسين حسن، مرجع سابق، ص 13

نشوئها واشتهارها كفنٍ أدبيٍّ شعريٍّ خالص، يعتمد على أسس ومعايير خاصة به لا تشبهولا تتلاقى مع غيرها من المعايير الأخرى للكتابات الأدبية والشعرية .

ويمكن تعريف هذا الفن بأنه: (كتابة قصيدة طويلة من البحر البسيط في مدح النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- على روي الميم المكسورة، يتضمن كل بيتٍ من أبياتها نوعاً من أنواع البديع، يكون هذا البيت شاهداً عليه، وربما وُريَّ باسم النوع البديعي في البيت نفسه في بعض القصائد).¹

وهذا الفن مرتبطٌ بفن (البديع) الذي (كتب فيه ابن المعتز أول كتاب جامع لهذا الفن بعنوان "البديع"، وتم جمع أنواع هذا الفن في كتاب ابن المعتز ومن لحقه بعد ذلك من المهتمين بعلوم البلاغة العربية، والعلاقة بين فن "البديعيات" وفن "البديع" هو أن كتابة القصيدة البديعية تشترط أن يحوي كل بيتٍ من أبياتها فناً من فنون البديع، وهذا ما فعله رائد الكتابة في البديعيات الشاعر صفي الدين الحلبي، الذي كتب أول قصيدة بديعية، على اختلافٍ في استحقاقه الأولية من عدمها).²

والعلاقة بين قصيدة البوصيري "البردة" ونشوء هذا الفن -البديعيات- تأخذنا إلى بداية نسج قصيدتي البوصيري وصفي الدين الحلبي، فقد اشتركا في الهدف والغاية من القصيدة وفي السبب الداعي إليها، فقد تعرض كلٌ منهما لمرضٍ عضالٍ طالت مدته، وامتدت شدته، قبل أن ينظم قصيدته، وقد ألجأ صاحبه إلى الله تعالى متوسلاً بنبيه وآملاً الشفاء، وكلاهما سلك سبيل الشعر في توسله، وكلاهما جاءت قصيدته على بحر البسيط وعلى روي الميم المكسورة باختلاف الزيادة البديعية التي جاء بها صفي الدين الحلبي، وكلاهما قد برأ من مرضه بعد نظم القصيدة وصرّح بذلك.³

¹ أبو زيد، علي، البديعيات في الأدب العربي نشأتها تطورها أثرها، ط1 (عالم الكتب - بيروت - لبنان - 1983/1403) ص 46

² المرجع السابق -بتصرف- ص 17

³ المرجع السابق -بتصرف- ص 21-22

الفصل الأول

" فن المعارضة الشعرية ومعارضات البردة "

المبحث الأول: المعارضة الشعرية:

- مفهومها.

- الدوافع الداعية إليها.

- نماذج منها.

المبحث الثاني: المعارضات الشعرية للبردة.

المبحث الأول:

" المعارضة الشعرية: مفهومها، والدوافع الداعية إليها، ونماذج منها "

ننطلق إلى فن شعري ارتبط بالشعر منذ أن عرفته العرب وتداولته، وأصبح ديوانهم الوحيد الذي يُخلصونه همومهم وأشجانهم وأفراحهم وكل شؤون حياتهم، وهذا الفن هو فن المعارضة الشعرية، والمعارضة بمفهومها هنا مغروسة في النفس الإنسانية وهي سبيل من سبل التقدم والرقي في شتى مجالات الحياة لأنها مبنية على التأمل في منجزات الآخرين ومن ثمّ النسج على منوالها للوصول إلى الكمال أو القدر الممكن من درجاته .

وقد اشتهر فن المعارضة الشعرية بين الشعراء من الأزمان الغابرة في الكتابة الشعرية التي وصلت إلينا، وقد وُجدت المعارضة حتى بين شعراء العصر الجاهلي، فقد عارض الشاعر الكميّ بن زيد¹ الشاعر عمرو بن كلثوم² في معلقته الشهيرة التي يقول في بدايتها:

ألا هبّي بصحنك فاصبحينا ولا تُبقي خمور الأندرينا³

¹ الكميّ بن زيد الأسدي 60-120 هـ ، شاعر الهاشمين، أموي. الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق الدكتور بشار عوّد معروف ، ط1 (دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان - 2003 - ج3 - ص 486)

² عمرو بن كلثوم شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات لم تُعرف له سنة ميلاد، مات سنة 40 قبل الهجرة. (الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ط15 - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - 2002) ج5 ص 84

³ الزوّزي، حسين بن أحمد، شرح المعلقات السبع، ط1 (دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - 2002/1423) ص 308

عارضه الكميت بقصيدة يقول في بدايتها:

ألا حبيتِ عنا يا مدينا وهل بأسٌ بقولِ مسلمينا¹

وهكذا استمرت المعارضة بين الشعراء في العصر الجاهلي إلى صدر الإسلام وزمن بني أمية والعباس، وما تبعهما من الأزمنة إلى وقتنا الحالي، مع خُفوتِ هذا الفن في الشعر الحدائلي العربي المعاصر .

ولم يكن الشعراء لينكروا على بعضهم فن المعارضة، وذلك لأنهم عرفوا أن الشعر لا بد وأن يأخذ بعضه من بعض فكان من قولهم: (لم يترك الأول للآخر شيئاً)، وقال الشاعر الجاهلي عنتره العبسي²:

هل غادر الشعراءُ من متردمٍ؟ أم هل عرفتِ الدار بعد توهم؟

وكان الشاعر هنا يقول بأن الشعراء لم يتركوا لغةً ولا صورةً ولا فناً من فنون الشعر ولا غرضاً من أغراضه إلا وقد سبقوا إليه لاحقيهم، فلا مندوحة من أن يواصل الشعرُ سيرورته متاحاً من نيمر الشعر المتدفق من أزل بعيد، وهذا ضربٌ من ضروب المعارضة سواءً في الشكل الشعري والبحور الشعرية، أو المعاني التي تختص بها قصيدة عن أخرى، أو الأغراض الشعرية الشائعة سابقاً والتي طرأت في الأزمنة المتأخرة، ولا يكادُ شاعرٌ يكتب قصيدة إلا وقد نهج فيها نهجاً سبقه إليه غيره من الشعراء، خاصةً في الصور والأفكار والمعاني، حتى شاع المثل السائر عند الأدباء " وقع الحافر على الحافر " إذا لاحظوا تشابهاً بين نصين أدبيين وأرادوا التبرير للنص الشعري الأحداث، (فقد سئل أبو عمرو بن العلاء: رأيت الشاعرين يتفقان في المعنى، ويتواردان في اللفظة، لم يلق واحدٌ منهما صاحبه، ولم يسمع بشعره؟ قال: تلك عقول

¹ طريفي، الدكتور محمد نبيل، ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق ط 1 (دار صادر - بيروت - لبنان - 2000) ص 427

² عنتره بن شداد العبسي، فارسٌ و شاعرٌ من أصحاب المعلقات لم تُعرف له سنة ميلاد مات سنة 22 ق هـ (الأعلام - ج 5 ص 91)

رجال توافت على ألسنتها. وسئل أبو الطيب المتنبي عن مثل ذلك فقال: الشعر جادة، وربما وقع الحافر على الحافر).¹

* مفهوم المعارضة الشعرية :

ومصطلح المعارضة يختلف في معناه الاصطلاحي بين المعارضة الأدبية التي نحن بصددنا وغيرها من أنواع المعارضات القديمة والحديثة كالمعارضة السياسية وغيرها، وسأقف على تعريف المعارضة من حيث اللغة والاصطلاح.

المعارضة لغةً : المزاومة والمقابلة على سبيل الممانعة.² وعارضته بمثل ما صنع إذا أتيت إليه بمثل ما أتى إليك، ومنه اشتقت المعارضة.³

وفي الاصطلاح يقول الدكتور أحمد الشايب في كتابه "تاريخ النقائض في الشعر العربي" :
والمعارضة في القصيدة أن يقول شاعرٌ قصيدة في موضوع ما من أي بحرٍ وقافية، فيأتي شاعرٌ آخر فيُعجب بهذه القصيدة لجانبها الفني وصياغتها الممتازة، فيقول قصيدة من بحر الأولى وقافيتها، وفي موضوعها مع انحرافٍ عنه يسير أو كثير، حريصاً على أن يتعلّق بالأول في درجته الفنية أو يفوقه فيها دون أن يعرض لهجائه أو سبه، ودون أن يكون فخره صريحاً علانيةً، فيأتي بمعانٍ أو صور إزاء الأولى تبلغها في الجمال الفني أو تسمو عليها بالعمق أو حُسنِ التعليل، أو جمال التمثيل أو فتح آفاقٍ جديدة في باب المعارضة.⁴

¹ عزّام، محمد، النص الغائب تجليات التناسخ في الشعر العربي، (اتحاد الكتاب العرب - دمشق - سوريا - 2001 م) ص 123

² ابن عبد الرسول، القاضي عبد النبي، دستور العلماء، تعريب حسن هاني فحص، ط 1 (دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت - 1421/2000) ج 3 ص 204

³ الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ط (دار ومكتبة الهلال - بيروت - لبنان) ج 1 ص 271

⁴ الشايب، أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ط 2 (مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - مصر - 1954) ص 7

والملاحظ من التعريف اللغوي للمعارضة أنها تعني المزاخمة على هدفٍ واحد منشود، وقد تعني المقابلة بحيث يتواجه شكلاان أو خصمان أو نسان يعرض كلٌ منهما ما لديه ليثبت للآخر تفوقه وعلوه عليه، وهذا التعريف اللغوي يفضي إلى التعريف الاصطلاحي الخاص بالمعارضة الشعرية، وكما يظهر في التعريف الاصطلاحي ليس الغرض من المعارضة الشعرية التهاجي والتلاحي بين المعارض والمعارض، وإنما يكون الغرض والهدف من المعارضة الشعرية محاولة بلوغ شأو النص المقصود بالمعارضة والكتابة على منواله، وهو هدفٌ شريفٌ يرفع من قامة وقيمة العمل الأدبي ويسهم في ضخ روح الحياة في جسد الشعر العربي .

*الدوافع الداعية إلى المعارضة:

هناك دوافع مختلفة تدفع الشاعر إلى أن ينحو منحى المعارضة في كتابته الشعرية، وأحسبُ أنه ليس هناك من شاعرٍ إلاّ وقد بدأ مسيرته الأولى في الكتابة متأثراً بشاعرٍ آخر أو شعراء يراهم المثل الأعلى في لحظته الشعرية الراهنة، وحين يحاول الشاعر الكتابة فسيكتب متأثراً بهؤلاء الذين شكلوا لديه نواة المعرفة الشعرية الأولى سواءً من حيث الشكل أو الغرض أو الصور والمعاني، ولا تعد المعارضة بحد ذاتها عيباً في التجربة الشعرية إذا كان الغرض منها لا يتوقف عند المحاكاة فقط، بل يتجاوزها إلى تشكيل صورة خاصة بالشاعر وخلق صوتٍ متميز ومتفردٍ له يكون علامةً مميزةً لنتاجه الشعري.

وسأذكر هنا بعض أبرز الدوافع التي تدعو الشاعر إلى معارضة قصيدة ما وهي:

أولاً: (التعلم والاسترشاد) فلا يمكن لأيِّ شاعرٍ أن يبدأ بقرض الشعر قبل أن يتأثر بشاعرٍ آخر قرأ له ورسخت تجربته في ذاكرته، عندها يأتي دور المحاكاة وممارسة الكتابة الشعرية على نفس البناء الشعري المقصود بالمعارضة، وغالباً ما تكون المحاكاة لقصيدةٍ من القصائد المشهورة التي لها رواجٌ بين شُدّة الأدب، وتكون المحاكاة أو المعارضة للقصيدة في الوزن والقافية والغرض، وقد يختلف الغرض من شاعرٍ لآخر، والأمثلة على هذه الصورة

كثيرة جداً إذ قلَّ أن يسلم منها شاعرٌ في مبتدأ قرضه للشعر، (فمثلاً البارودي قيل في دوافع المعارضة عنده انه كان يرمي منها إلى استيحاء لغة السلف وتقليد أساليبهم والدعوة إلى الإصلاح، إصلاح وضع الشعر في عصره والنهوض به وانتشاله ، وفكّه مما كان يكبله من قيود البديع، وتفاهة الموضوعات، وضحالة المعاني) .¹

ثانياً : (الإعجاب والتقليد) فقد يُعجب الشاعر بتجربةٍ شعرية ما في أسلوب كتابتها وصورها وغير ذلك مما يستدعي الإعجاب والانبهار، فيعمد بعد ذلك إلى استخلاص بعض نصوص هذه التجربة الشعرية والنسج على منوالها، مع خطورة المعارضة التي تنحو هذا المنحى لأنها في الأغلب تقوم بإعادة إنتاج التجربة الشعرية التي تتوخاها بالمعارضة، متجاهلةً في الأغلب ضياع صوت الشاعر صاحب النص المُعارض في صوت النص المُعارض إذا كان الشاعر المُعارض شاعراً قليلاً الزاد والموهبة، وهناك الكثير من القصائد التي عُرضت بدافع الإعجاب والانبهار بما حتى من أساطين الشعر وأعمدته الراسخة ولم تكن هذه المعارضة لتقلل من قيمة ما كتبه لأهم في الأصل من ذوي التجربة والموهبة الشعرية الحقّة، ومن هذه القصائد بُردة البوصيري التي عُرضت من قبل الكثير من الشعراء كأحمد شوقي ومحمد عبد المطلب، وغيرهما من الشعراء، و(التقليد ... ظاهرة عامة ولازمة للأدب، بحيث لو حاول أحد الشعراء أن يكون مجدداً في فترة التقليد هذه لما أمكنه ذلك، لأنه لا يملك من الطبع والقبيلة ما يعينه على التجديد)²

ثالثاً : (إظهار القدرة على التفنن والإبداع) : فقد يعمد الشاعر إلى مجازاة قصيدة ما لشاعرٍ مشهور محاولاً أن يتفوق في مجاراته على القصيدة الأساسية التي قام بمعارضتها، كي يُظهر لمريدي لشعر قدرته على تجاوز من سبقه من الشعراء، وقد عمد الشعراء الأندلسيون إلى ذلك أيضاً في معارضاتهم الشعرية (من خلال وقوع الشاعر الأندلسي على قصيدةٍ لغيره،

¹ المغيص، تركي، التناص في معارضات البارودي (مجلة أبحاث اليرموك - مجلد 9 - عدد 1991م - 2م)

² البجاري، يونس طركي، المعارضات في الشعر الأندلسي، ط1 بتصرف (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - 2008) ص 67

ولا سيما أشعار المشاركة من عصره أو من عصرٍ سابقٍ له، فيتمثلها ويصهرها ويصقلها، وبرغم الاحتفاظ بما هو جوهرى فيها يعطيها شكلاً جديداً، عن طريق التقديم والحذف والإضافة والإصلاح، لتوائم العصر الذي نُقلت إليه، وفي هذه الحالة تكون قصيدته بديعةً بقدر ما يظهر فيها من شخصيته ..¹ ولكن في الغالب تظل القصيدة التي عورضت بمنأى من أن تتجاوزها القصيدة المعارضة، لدوافع فنية وربما نفسية تقف بالشاعر المعارض عند نقطة لا يستطيع تجاوزها وإن حاول ذلك .

رابعاً : (الشهرة والذيع) : فقد يعمد الشاعر -إذا كان هذا الشاعر مغموراً- إلى معارضة قصيدة شاعرٍ مشهور ذي مكانة سامية بين الشعراء، وذلك بحثاً عن إنجازٍ شعري يمنحه الشهرة بين سائر الشعراء، وذلك بأن تكون معارضته لقصيدة شاعرٍ فخم ولقصيدة مشهورة، يحاول فيها أن يتجاوز الشاعر المعارض وأن ينسج على منوالٍ أكثر إحكاماً، وقلماً أن يتجاوز اللاحق السابق في قصيدته لأن اللاحق يُعارضُ بقصيدته من يعتبره مثلاً وقدوةً يُحتذى به، ويظل دائماً بينه وبين شاعره مسافة لا يمكنه اقتحامها .²

خامساً : (المشاركة في النوازل والقضايا العامة) : وفي هذا الباب تكون المعارضة في الأصل لمجموع القصائد وليس لقصيدة واحدة، فقد تبرز نازلة من نوازل الزمن على مجتمعٍ أو دولةٍ ما، فتجد الشعراء يتبارون في الكتابة في هذه النازلة ويعارض بعضهم بعضاً، وقد ظهرت هذه النماذج بكثرة إبان الكوارث التي حلت بالعالم بشكل عام والإسلامي منه بشكل خاص، كالحرب العالمية الثانية، والزلازل والبراكين والفيضانات، والحروب الدينية والعرقية التي عانى منها المسلمون في البلقان وغيرها .³

¹ البجاري، مرجع سابق، ص 70

² دراسات في التيارات الأدبية المعاصرة (جامعة المدينة العالمية ، ماجستير العلوم الإسلامية واللغة العربية وآدابها ، بتصرف - المستوى الأول) ص 207

³ المرجع السابق، بتصرف - ص 208

سادساً : (إحياء التراث الأدبي الشعري) : وقد برز هذا بشكل واضح في الجهد الذي قامت به مدرسة الإحياء التي ظهرت أوائل العصر الحديث بمصر وتزعمها الشاعر محمود سامي البارودي¹، الذي قام بعملية إعادة قراءة الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى أزهى عصور الشعر العربي -العصر العباسي- ثم قام هذا الشاعر الذي عاش في زمن انحطاط الشعر وضياع الهوية والثقافة العربية بتأثير اللغة التركية على كافة أقطار العالم العربي، قام هذا الشاعر بمعارضة أهم وأشهر القصائد العربية الممتدة في الزمن السالف الذكر، وقد (تأثر البارودي في شعره كله، وفي جميع مراحل حياته، بالتراث الشعري العربي، فترسم آثار الشعراء الأقدمين في معانيهم ومبانيهم، وفي تراكيبهم اللفظية وصورهم الشعرية. واتخذ من شعراء العصر العباسي مثلاً يحتذيه، وينسج على منواله، ويسجل إعجابه بشعرائه)² وكان لهذه المعارضات الأثر البارز في إحياء اللغة العربية والذوق الشعري السليم، واستطاع بهذه المعارضات أن يحيي رميم الشعر العربي، وأن يؤثر في الشعراء الآخرين الذي عاصروه وأصبحوا هم أيضاً من رموز هذه المدرسة، كأحمد شوقي³ وحافظ إبراهيم⁴ وأحمد محرم⁵، ولا يخفى على أي مطلع على النهضة الشعرية الحديثة الدور الكبير الذي أدّاه هؤلاء الشعراء الأوائل الذين أعادوا للأدب العربي وللشعر خاصةً روحه ورونقه وأصالته .

سابعاً : (الإخوانيات): وهي القصائد التي يتبادلها الشعراء وتكون بحس عاطفي تلقائي يتخفف من الكثير من القيود الفنية الصارمة التي اعتاد الشعراء على أن ينسجوا قصائدهم على منوالها، ودائماً ما تكون هذه القصائد بين شاعرين صديقين بحيث يُرسل أحدهما إلى

¹ محمود سامي البارودي، شاعر مصري ورائد مدرسة الإحياء والتجديد الشعري، عاش في الفترة من 1839-1904 (معجم أعلام المدح النبوي، لمحمد أحمد درنيقة، ط1، دار ومكتبة الهلال - بيروت - لبنان - 1996) ص 412

² عزّام، مرجع سابق، ص 155

³ أحمد شوقي بك، شاعر مصري كبير لقب بأمير الشعراء، عاش في الفترة من 1868-1932 (الأعلام) ج 1 ص 136

⁴ محمد حافظ إبراهيم، شاعر مصري رائد لقب بشاعر النيل والشعب، عاش في الفترة من 1872-1932 (المرجع السابق) ج 6 ص 76

⁵ أحمد محرم شاعر مصري ذو توجه إسلامي قومي، عاش في الفترة من 1877-1945 (المرجع السابق) ج 1 ص 202

الآخر قصيدةً أو بعضاً من الأبيات الشعرية ويقوم الشاعرُ الآخر بكتابة قصيدة أو أبياتٍ على ذات النسقِ في الموضوع والقافية والوزن الشعري، وقد عرّفها إميل ناصيف في كتابه (أروع ما قيل في الإخوانيات) بقوله : لونٌ من ألوان الكتابة الشعرية والنثرية التي تندرج في إطار المراسلات المتداولة بين الأصدقاء والخلان أو في إطار استحضار طيب العيش معاً وتذكر أيام الود والهناء¹، ولم يتوقف هذا النوع من المعارضات بعد تطور الشعر وأدواته، بل ظلَّ إلى هذا الزمن يتبوأ مكانته بين الشعراء المُحدثين وأصبحوا يتداولون هذه الإخوانيات في مراسلاتهم الورقية والالكترونية، وينتهزون فرصة الأعياد والمناسبات ليدجوا هذه المعارضات الإخوانية .

ثامناً : (المسابقات الشعرية): وهو غرضٌ متأخر أصبح معروفاً في الزمن المعاصر، ويُطلب فيه من مجموعة من الشعراء أن يكتبوا قصيدةً شعرية معارضةً لقصيدةٍ من قصائد الشعراء المشاهير، ومن ثمَّ يتم انتقاء القصيدة الأفضل من بين القصائد المعارضة، تُعطى المرتبة الأولى بين سائر القصائد، ولا شك أن هذا الغرض أيضاً يُسهم في تنشيط الذاكرة الشعرية لدى الشعراء ويربطهم أكثر بالشعر العربي الأصيل ، والقصائد الجياد .

ونطلع الآن على نماذج من المعارضات الشعرية التي أسهمت في إثراء التجربة الشعرية على امتداد تاريخ الأدب العربي والشعر خصوصاً .

*نماذج من المعارضات الشعرية:

كما أسلفتُ سابقاً امتد نطاق المعارضات الشعرية منذ العصر الجاهلي، ولذلك لا أستطيع الجزم — ولم أجد من يجزم— بوجود زمنٍ محددٍ يمكن أن يكون هو الانطلاقة الحقيقية لبداية فن المعارضات الشعرية، وسأضع هنا نماذج لبعض المعارضات الشعرية ذات الصيت والمكانة في الشعر العربي، وسأكتفي بخمسة نماذج شعرية، وبالأبيات السبعة الأولى من كل قصيدة .

¹ ناصيف، إميل ، أروع ما قيل في الإخوانيات ، ط 1 (دار الجيل - بيروت - لبنان - 1996/1416) ص 5

أبدأ هذه النماذج المختارة من المعارضات الشعرية بمعارضة الشعراء لقصيدة كعب بن زهير¹ الشهيرة التي يقول في مفتحها :

بانت سعادٌ فقلبي اليوم متبولٌ	متيمٌ إثرها لم يفد مكبولٌ
وما سعادٌ غداةً البين إذ رحلتُ	إلاّ أغنُّ غضيضُ ال ط رف مكحولٌ
ويلمَّهما حلَّةٌ لو أنّها صدقت	موعودها أو لو انّ التُّجح مقبولٌ
لكنّها حلَّةٌ قد سيط من دمها	فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديل
فما تدوم على حالٍ تكون به	كما تلونُ في أثوابها الغولُ
فلا يُغرِّنك ما منّت وما وعدتُ	إنّ الأمانيّ والأحلامَ تضليلُ
تالله لا تمسك العهدَ الذي عهدتُ	إلاّ كما تمسك الماءَ الغرايبِلُ

وقد كتب شاعرٌ آخر قصيدةً معارضةً لهذه القصيدة على ذات الوزن والقافية يعارض فيها

الشاعرَ زهيراً، وكتب القصيدة هو الشاعر الأخطل³ الذي يقول فيه مفتحها :

بانتُ سعادٌ ففي العينين مُلمولٌ	من حبّها، وصحيحُ الجسمِ مخبولٌ
فالقلبُ، من حبّها، يعتادهُ سقمٌ	إذا تذكّرتُها، والجسمُ مسلولٌ
وإن تناسيتُها أو قلتُ: قد شحطتُ	عادتُ نواشطُ منها، فهوَ مكبولٌ
مرفوعةٌ عن عيونِ الناسِ في عُرفٍ	لا يطمعُ الشيبُ فيها والتنايلُ
يخالطُ القلبَ بعدَ النومِ لذتها	إذا تنبه، واعتلَّ المتنايلُ
يروى العطاشَ لمى عذبٌ مقبلهٌ	في جيدِ آدمٍ، زانتُهُ التهاويلُ
حليّ يشبُّ بياضَ النحرِ واقدهُ	كما تُصوّرُ في الدّيرِ التّماثيلُ

4

¹ كعب بن زهير بن أبي سلمى، صحابي شاعر مخضرم لم تُعرف له سنة ميلاد مات سنة 26 هـ (الأعلام) ج 5 ص 226

² السكري، صنعة الإمام أبي سعيد، ديوان كعب بن زهير، شرح د. مفيد قميحة، ط 1 (دار الشواف للطباعة والنشر - الرياض - السعودية - 1989/1410) ص 110

³ غياث بن غوث التغلبي، شاعرٌ أموي مسيحي عاش في الفترة من 19-90 هـ (الأعلام) ج 5 ص 123

⁴ ناصر الدين، مهدي محمد، شرح ديوان الأخطل، ط 2 (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - 1994/1414) ص 232

ومن نماذج المعارضة الشعرية قصيدة الشاعر بشار بن برد¹ التي قالها في مدح آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد، التي يقول في مفتحتها :

جفا ودهُ فازور أو مل صاحبه	وأزرى به أن لا يزال يعاتبه
خَلِيلِي لَا تَسْتَنْكِرَا لَوَعَةَ الْهَوَى	ولا سلوة الحزون شطت حبايبه
شفى النفس ما يلقي بعبدة عينه	وما كان يلقي قلبه وطبايبه
فَأَقْصَرَ عِرْزَامُ الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا	يميل به مسُّ الهوى فيطالبه
إِذَا كَانَ ذَوْاقًا أَخْوَكَ مِنَ الْهَوَى	مُوجَّهَةً فِي كُلِّ أَوْبٍ رَكَائِبُهُ
فَخَلَّ لَهُ وَجْهَ الْفِرَاقِ وَلَا تَكُنْ	مَطِيَّةَ رَحَالٍ كَثِيرٍ مَذَاهِبُهُ
أخوك الذي إن ربتُه قال إنما	أربت وإن عاتبته لان جانبه

2

وقد عارض هذه القصيدة الشاعر أبو تمام³ بقصيدته الشهيرة التي يقول في مُفتحتها :

أَهْنَّ عَوَادِي يَوْسُفٍ وَصَوَاحِبِهِ	فَعَزَمًا فَقَدِمًا أَدْرَكَ السُّؤْلَ طَالِبُهُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَسْتَخْلِصِ الْحَزْمُ نَفْسَهُ	فَذَرَوْتُهُ لِلْحَادِثَاتِ وَغَارِبُهُ
أَعَادِلْتِي مَا أَحْشَنَ اللَّيْلَ مَرَكَبًا	وَأَحْشَنُ مِنْهُ فِي الْمَلِمَّاتِ رَاكِبُهُ
ذَرَيْنِي وَأَهْوَالَ الزَّمَانِ أَفَانِهَا	فَأَهْوَالُهُ الْعُظْمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهُ
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الزِّمَامَ عَلَى السُّرَى	أَخُو النُّجْحِ عِنْدَ النَّائِبَاتِ وَصَاحِبُهُ
دَعَيْنِي عَلَى أَحْلَاقِي الصُّمِّ لِلَّتِي	هِيَ الْوَفْرُ أَوْ سِرْبٌ تُرْنُ تَوَادِبُهُ
فَإِنَّ الْحُسَامَ الْهِنْدُونِيَّ إِنَّمَا	خُشُونَتُهُ مَا لَمْ تُفَلِّلْ مَضَارِبُهُ

4

وليس المجال هنا للدراسة المقارنة بين القصيدتين المُعارضة والمُعَارِضة، ويظهر لقارئ القصيدتين الصور الفنية والتفوق اللغوي لنص على الآخر .

¹ بشار بن برد العقيلي ، شاعرٌ أعمى عاصر الدولتين الأموية والعباسية، وعاش في الفترة من 95-176هـ (المرجع السابق) ج 2 ص

² بن عاشور، الشيخ محمد الطاهر، جمع وشرح ديوان بشار بن برد، ط1 (وزارة الثقافة - الجزائر - 2007م) ج 1 ص 325

³ حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر، الأديب. أحد أمراء البيان، عاش في الفترة من 188 - 231هـ (الأعلام) ج 2 ص

⁴ التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، (دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - 1427/ 2007) ج 1 ص 119

ومن نماذج المعارضة الشعرية أيضاً، إحدى قصائد المتنبي¹ الشهيرة التي عورضت من الكثير من الشعراء، والتي يقول المتنبي في مُفتتحها :

أَطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ	وَحِيداً وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِيَ الصَّبْرُ
وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلِّ يَوْمٍ سَلَامَتِي	وَمَا تَبَّتْ إِلَّا وَفِي نَفْسِهَا أَمْرٌ
تَمَرَّسْتُ بِالْآفَاتِ حَتَّى تَرَكَتُهَا	تَقُولُ أَمَاتَ الْمَوْتُ أَمْ ذُعِرَ الذُّعْرُ
وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْأَيِّ كَأَنَّ لِي	سَوَى مُهَجَّتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَثْرٌ
ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَوَسْعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا	فَمُفْتَرِقٌ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعُمُرُ
وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ زِقاً وَقَيْنَةً	فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتَكَةُ الْبِكْرُ

وقد عارض هذه القصيدة ابن هانئ الأندلسي³ في قصيدته التي يقول في مطلعها :

تقول بنو العباس هل فتحت	فقل لبني العباس قد قضى
مصر	الأمرُ
وقد جاوز الاسكندرية	تطالعه البشرى ويقدمه
جوهر	النصرُ
وقد أوفدت مصر اليه	وزيد الى المعقود من جسرها
وفودها	جسرُ
فما جاء هذا اليوم إلا وقد	وأيديكم منها ومن غيرها
غدت	صفرُ
فلا تكثروا ذكر الزمان	فذلك عصر قد تقضى وذا

¹ أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين الجعفي، الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي، عاش في الفترة من 303-354هـ (الزركلي، مرجع سابق) ج 1 ص 115

² سبيتي، مصطفى، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، ط1 (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - 1406/ 1986) ج 1 ص 233

³ محمد بن هانئ بن سعدون الأزدي الأندلسي، شاعر أندلسي عاش في الفترة من 326-362هـ (ديوان ابن هانئ الأندلسي - تحقيق كرم البستاني - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - 1400/1980م) ص 5

عصرٌ	الذي خلا
فهذا القنا العرّاص والجحفل	أفي الجيش كنتم تمثرون
الجرُّ	رويدكم
على الدين والدنيا كما طلع	وقد أشرفت خيل الإله
الفجرُ	طوالعاً

1

نموذجٌ آخر للمعارضات الشعرية التي نشطت إبّان زمن الإحياء الشعري في بداية العصر الحديث، والقصيدة المعارضة هي معلقة الشاعر الجاهلي عنتره العبسي² التي يقول في مُفتتحها :

أم هل عرفت الدار بعد توهم	هل غادر الشعراء من متردم
و عمي صباحاً دار عبلة و اسلمي	يا دار عبلة بالجواء تكلمي
فدنُّ لأقضي حاجة المتلوم	فوقفت فيها ناقتي و كأنها
بالحزن فالصمان فالمتثلّم	و تحل عبلة بالجواء و أهلنا
أقوى و أقفر بعد أم الهيثم	حييت من طللٍ تقادم عهده
عسراً علي طلابك ابنة محرمٍ	حلت بأرض الزائرين فأصبحت
زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم	علقتها عرضاً و أقتل قومها

3

هذه المعلقة الشعرية الخالدة قام رمز الإحياء الشعري في العصر الحديث الشاعر محمود سامي البارودي⁴ بمعارضتها بقصيدةٍ يقول في مُفتتحها :

¹ البستاني، كرم، تحقيق ديوان ابن هانئ الأندلسي (دار بيروت للطباعة والنشر- بيروت- لبنان - 1400/1980م) ص 131

² سبقت ترجمته ، ص 20

³ التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنتره بن شداد، ط 1 (دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - 1992/1412) ص 147

⁴ سبقت ترجمته ص 25

كَمْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ
 فِي كُلِّ عَصْرِ عُبْقَرِيٍّ، لَا يَنِي
 وَ كِفَاكَ بِي رَجُلًا إِذَا اعْتَقَلَ النُّهَى
 أَحْيَيْتُ أَنْفَاسَ الْقَرِيضِ بِمَنْطِقِي
 وَ فَرَعْتُ نَاصِيَةَ الْعِلَا بِفَضَائِلِ
 سَلْ مُصْرَ عَنِّي إِنْ جَهَلْتَ مَكَانِي
 بِلَيْهٍ، نَشَأْتُ مَعَ التَّبَاتِ بِأَرْضِهَا
 وَلَرُبَّ تَالٍ بَزَّ شَأْوُ مُقَدِّمٍ
 يَفْرَى الْفَرِ يَّ بِكُلِّ قَوْلٍ مُحْكَمٍ
 بِالصَّمْتِ، أَوْ رَعَفَ السَّنَانُ بَعْنَدَمِ
 وَ صَرَعْتُ فَرَسَانَ الْعِجَاجِ بِلَهْذَمِي
 هُنَّ الْكَوَاكِبُ فِي النَّهَارِ الْمُظْلَمِ
 تُخْبِرُكَ عَنْ شَرَفٍ وَعِزٍّ أَقْدَمِ
 وَ لَثَمْتُ ثَعْرَ غَدِيرِهِ الْمُتَبَسِّمِ

1

والمودج الأخير للمعارضات الشعرية هنا هو قصيدة الشاعر ابن زيدون² التي قال في مطلعها :

أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلًا عَنْ تَدَانِينَا
 أَلَّا وَقَد حَانَ صُبْحُ الْبَيْنِ، صَبَّحْنَا
 مَنْ مَبْلَغُ الْمَلْبَسِينَا، بَانْتِرَاحِهِمْ،
 أَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي مَازَالَ يُضْحِكُنَا
 غِيْظَ الْعِدَا مِنْ تَسَاقِينَا الْهُوَى فِدَعَوْا
 فَانْحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنْفُسِنَا
 وَقَدْ نَكُونُ، وَمَا يُخْشَى تَفَرُّقُنَا
 وَنَابَ عَنْ طَيْبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا
 حَيْنٌ، فَقَامَ بِنَا لِلْحَيْنِ نَاعِينَا
 حُزْنًا، مَعَ الدَّهْرِ لَا يَبْلَى وَيُئَلِينَا
 أَنْسَاءً بِقُرْبِهِمْ قَدَ عَادَ يُبْكِينَا
 بِأَنْ نَعَصَّ، فَقَالَ الدَّهْرُ آمِينَا
 وَانْبَتَّ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا
 فَالْيَوْمَ نَحْنُ، وَمَا يُرْجَى تَلَاقِينَا

3

¹ الجارم، علي، ومعروف، محمد شفيق، تحقيق ديوان البارودي (دار العودة - بيروت - لبنان - 1998م) ص 584

² أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي الأندلسي، شاعرٌ وكاتبٌ ووزير عاش في الفترة من 394-463هـ (الأعلام) ج 1 ص 158

³ فرحات، د. يوسف، شرح ديوان ابن زيدون، ط2 (دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - 1995/1415) ص 298

عارض هذه القصيدة أحد شعراء مدرسة الإحياء الشعري وأحد أهم رموزها ، وهو الشاعر أحمد شوقي بك¹ ، وقد عارض هذه القصيدة بقصيدته المشهورة التي يقول في بدايتها :

يا نائح (الطلح)، أشباه	نشجى لـواديك، أم نأسى
عوادينا	لوادينا؟
ماذا تقصُّ علينا غيرَ	قصَّتْ جناحك جالت في
أنَّ يدًا	حواشينا
رمى بنا البينُ أيُّكَا	- أحا الغريب - وظلًّا غيرَ
غيرَ سامرنا	نادينا
كلُّ رَمْتِه النَّوى: ريشَ	سَهْمٍ، وسُئلَ عليكَ البينُ
الفراق لنا	سِكِّينا
إذا دعا الشوقُ لم نَبرحْ	من الجناحين عيًّا لا
مُنْصَدِعِ	يُلبِّينا
فإنَّ يكُ الجنسُ يا ابنَ	إنَّ المصائبَ يجمَعنَ
الطلح فرَّقنا	المصائبنا
لم تألُ ماءك تَحنان	أ، ولا ادِّكار ، ولا شَجْوًا
ولا ظمًا	أفانينا

2

هذه بعض التجارب الشعرية ذائعة الصيت التي نحى الشعراء فيها منحى التجريب ومعارضة نصوص شعرية أخرى لها من الحظوة والمكانة بين سائر النصوص الشعرية ما لم يدركه غيرها من التجارب الشعرية.

¹ سبقت ترجمته ص 25

² شوقي، أحمد، الأعمال الشعرية الكاملة المجلد الأول (دار العودة - بيروت - لبنان - 1988) ص 104

مع ملاحظة التفاوت الذي يلمحه العارف بفن الشعر وضروب الكلام الجيد والصور
الفاتنة الآسرة والمعاني السامية الرفيعة ، بين القصيدة الشعرية الأصيلة التي قوبلت بالمعارضة ،
والقصيدة الشعرية المقلّدة للنص الشعري .

المبحث الثاني:

"المعارضات الشعرية للبردة "

(تشمل أجزاءً من القصيدة والتعريف الموجز بالشاعر)

سبق أن عرّجنا على المعارضة وتعريفها من حيث اللغة والاصطلاح ، وهي - كما رأينا - محاولةً للكتابة على نسقٍ سابقٍ ذي مكانةٍ بين سائر الشعر لدى الشاعر المعارض للقصيدة ؛ وقد كانت قصيدة البردة النبوية المباركة للبوصيري ذات مكانة سامية بين سائر قصائد المديح النبوي لأسباب كثيرة ، والحال كذلك فلا غرابة من أن تحصل هذه القصيدة على كم هائلٍ من المعارضات التي تتوازي وشهرتها التي بلغت آفاق الشعر .

وقد عارض هذه القصيدة الكثير من الشعراء المعاصرين للبوصيري والذين خلفوه بعد ذلك ، وما زالت هذه المعارضات متاحة لمن رأى في نفسه القدرة على أن يكسر هالة الإبداع التامة التي تطوّق الشاعر البوصيري دون غيره في مجال المديح النبوي .

ولا يفوتني هنا الإشارة إلى ملمحٍ في مهم ، وهو أن البوصيري في قصيدته البردة قد نحى ذات المنحى الذي سنتداوله في هذا المبحث وهو فن المعارضة الشعرية ، فقصيدته البوصيري هي في الأصل معارضة لشاعرٍ معاصرٍ له هو الملقب بإمام العاشقين ابن الفارض ، وقد جاء في كتاب "ثلاثية البردة" : وقد نسج الإمام البوصيري قصيدته البردة على منوال قصيدة لسلطان العاشقين الشاعر الصوفي ابن الفارض¹ ومطلعها:

هل نارٌ ليلى بدت ليلاً بذي سلمٍ أم بارقٌ لاح في الزوراء فالعلم
أرواح نعمان هلاً نسمةٌ سحرًا وماء وجرة هلاً نحلةٌ بفم²

ومعارضة البوصيري لشاعرٍ كبير مشهور في زمنه معاصر له وهو ابن الفارض في كتابة قصيدة البوصيري الأشهر "البردة" ، يدعم القول بأن الشاعر لا ينفك يُعارضُ ويُعارضُ ، وأن

¹ عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاء، أشعر المتصوفين. يلقب بسلطان العاشقين، عاش في الفترة من 576 - 632 هـ (الأعلام ج 5 ص 55)

² حسين حسن، مرجع سابق، ج 1 ص 53

القصيدة المُعارضة قد تتجاوز في بعض المحاولات القصيدة المُعارضة ، فناً وأسلوباً وربما شهرةً أيضاً ، كما هو الحال مع قصيدة البوصيري التي فاقت في شهرتها قصيدة ابن الفارض .

و بمجرد إلقاء نظرة سريعة على القصائد التي كتبها الشعراء بعد قصيدة البردة للبوصيري ، وحذوا فيها حذوه وهي مُعارضات البردة ، يظهر للقارئ أهمية هذه القصيدة حيث أصبحت معلماً بارزاً يستدل به الشعراء ، ومنازةً عاليةً يحاولون السمو إليها ، بما يكتبونه من الشعر الخالص في مديح النبي محمد -عليه الصلاة والسلام- بالرغم من كون هذه القصيدة قد كُتبت في القرن السابع الهجري .

وسأستعرضُ هنا طائفةً من المعارضات الشعرية لقصيدة بردة المديح المباركة للبوصيري التي كتبها الشعراء عبر العصور ، متوخياً الترتيب الزمني لوفاة الشعراء ، بحيث يتم تقديم الأقدم وفاةً منهم ، متجاوزاً بعض الشعراء .

وسأبدأ هنا بقصيدة الشاعر الأندلسي مالك بن نويرة¹ المتوفى سنة 699هـ، التي تعتبر من النصوص الشعرية التي عارضت بردة البوصيري في زمنٍ قريب ، ويقول الشاعر فيها معارضاً :

شوقٌ كَمَا رُفِعَتْ	تَشِبُّ بَيْنَ
نَارٍ عَلَى عِلْمٍ	ضُلُوعِ الضَّالِّ
	وَالسَّلْمِ
أُفٍّ بِهِ بَضْلُوعِي	حَتَّى بَرَانِي
وَهُوَ يُحْرِقُهَا	بِرِيَاءٍ لَيْسَ
	بِالْقَلَمِ
مَنْ يَشْتَرِينِي بِالْبُشْرَى	عَبْدًا إِذَا نَظَرْتُ
وَيَمْلِكُنِي	عَيْنِي إِلَى الْحَرَمِ
دَعُ لِلْحَبِيبِ ذَمَامِي	فَلَيْسَ ذَا قَدَمٍ مِّنْ

¹مالك بن عبد الرحمن بن فوج ابن أزرق ، من أهل مالقة عاش في الفترة من 604 - 699 هـ (الأعلام، ج 5 ص 263)

لَيْسَ ذَا قِدَمٍ
جَاوَرْتُمْ خَيْرَ
مَبْعُوثٍ إِلَيَّ
الْأَمَمِ

فِي مَهْبُطِ الْوَحْيِ
وَالْآيَاتِ وَالْحُكْمِ
وَنَسْلِكُنَّ لَهَا
الْبِدَاءَ فِي الظُّلْمِ

إِلَيَّ مَحْطٌ
خَطَايَا الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ

وَقَدْ أَتَيْتَنَّاكَ
فَاسْتَغْفِرُ
لِمُحْتَرَمٍ
فَقَدْ مَضَى الْعُمْرُ فِي
ذَنْبٍ وَفِي نَدَمٍ

وَاحْتَمَلُ رَمَقِي
يَا أَهْلَ طَيْبَةِ
طَابَ الْعَيْشُ عِنْدَكُمْ

عَايَنْتُمْ جَنَّةَ
الْفِرْدَوْسِ عَنْ كَثْبِ
لَنْتَرُكَنَّ لَهَا
الْأَوْطَانَ
خَالِيَةً

رِكَابُنَا
تَحْمَلُ الْأَوْزَارَ
مَثْقَلَةً

ذُنُوبِنَا يَا
رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كَثُرَتْ

ذَنْبٍ يَلِيهِ
عَلَيَّ تَكْوِينُ رَارِهِ
نَدَمٌ

والقصيدة أعلاه في أبياتها المثبتة هنا تشابه على حد كبير قصيدة البوصيري وهي تحمل الروح نفسها، وتنحو ذات المنحى الذي سلكته قصيدة البوصيري مع اختلاف القصيدتين في

¹ الأندلسي، محمد بن عبد الله، أبو عبد الله الشهير بلسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ط 1 (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - 1424هـ) ج 3 ص 240

الظروف والقدرة الشعرية الفنية ، وليس هذا مجال المقاربة بين القصيدتين ، مع التقارب
الزميني الواضح بين الشعاعين المتعاصرين .

وعلى ذات الترتيب الزميني تأتي قصيدة الشاعر صفي الدين الحلبي¹ المتوفى سنة (750 هـ) (هـ)
القريب زمينياً من للبوصيري ، ويقول الشاعر في مُفتتح معارضته للبوصيري :

إِنْ جِئْتَ سَلْعاً فَسَلِّ عَنْ حَيْرَةِ الْعَلَمِ
وَأَقْرَ السَّلَامِ عَلَى عُرْبٍ بِذِي سَلَمٍ

فقد ضمنتُ وجودَ الدَّمْعِ مِنْ عَدَمِ
لهم، ولم أستطعْ مع ذاك مَنَعِ دِمِي

2

أَيُّتُ وَالذَّمْعُ هَامٍ هَمَلٌ سَرِبٌ
وَالجِسْمُ فِي أَضْمٍ لِحْمٍ عَلَى وَضَمٍ

مِنْ شَأْنِهِ حَمَلٌ أَعْبَاءِ الْهُوَى كَمَدًّا إِذَا هَمَى شَأْنُهُ بِالذَّمْعِ
لَمْ يُلَمِ

مَنْ لِي بِكُلِّ غَرِيرٍ مِنْ ظَبَائِهِمْ غَرِيرٍ حَسَنٍ يَدَاوِي الْكَلِمَ بِالْكَلِمِ
بِكُلِّ قَدِّ نَضِيرٍ لَا مَا يَنْقُضِي أَمَلِي مِنْهُ وَلَا أَلِي
نَظِيرَ لَهُ

وَكُلُّ لِحْظٍ أَتَى بِاسْمِ ابْنِ ذِي يَزِينِ فِي فَتْكِهِ بِالْمُعْنَى أَوْ أَبِي
هَرَمِ

قَدْ طَالَ لَيْلِي وَأَجْفَانِي بِهِ قَصْرْتُ عَنْ الرَّقَادِ فَلَمْ أَصْبِحْ
وَلَمْ أَنْمِ

كَأَنَّ آنَاءَ لَيْلِي فِي تَطَاوُلِهَا فَكَيْفَ يَجْسُنُ مِنْهَا حَالِ
هَمْ أَرْضَعُونِي تُدِيَّ الْوَصْلِ حَافِلَةَ

¹ عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم السننسي الطائي ، شاعر عصره. ولد ونشأ في الحلة ، وتوفي ببغداد ، عاش في الفترة من 677 - 750 هـ (الأعلام ، ج4 ص 17)

² الوَضْمُ : كلُّ ما يوضَع عليه اللحم من خشبٍ أو حَصِيرٍ أو نحو ذلك.

والقصيدة كاملة موجودة في ديوان الشاعر ، وهي من نصوصه الشعرية التي لاقت الرواج بين القصاص المدحية المعارضة لقصيدة البوصيري ، وقد سماها الشاعر " الكافية البديعية في المدائح النبوية " ، وذكر الشاعر في مقدمة القصيدة ظروفاً لابستها ودعته إلى كتابتها ، وهذه الظروف تتشابه إلى حدٍ كبير مع الظروف التي قال البوصيري إنها لابست قصيدته البردة زمن كتابتها .

وهذه معارضة أخرى للبردة كتبها الشاعر شمس الدين محمد بن جابر الأندلسي ² المتوفى سنة 780 هـ ، وقد سماها الشاعر " بديعية العميان " ، ويقول في مفتتحها :

بَطِيَّةَ انزِلْ وَيَمِّمْ سَيِّدَ الْأُمَمِ	وَأَنْشُرْ لَهُ الْمَدْحَ وَانْثُرْ أَطْيَبَ الْكَلِمِ
وَأَبْذُلْ دُمُوعَكَ وَاعْذُلْ كُلَّ مُصْطَبِرٍ	وَالْحَقَّ بِمَنْ سَارَ وَالْحَظَّ مَا عَلَى الْعَلَمِ
سَنَا نَبِيٍّ أَبِي أ	سَلِيلِ مَجْدٍ سَلِيمِ الْعِرْضِ مُحْتَرَمِ
لَا يُضَيِّعُنَا	هَدَى وَفَاضَ نَدَى كَفِّهِ كَالدَّيَمِ
جَمِيلِ خَلَقٍ عَلَى حَقِّ جَزِيلِ نَدَى	فَكَمْ جَرَى مِنْ جَدَا كَفِّهِ مِنْ نَعَمِ
كَفَّ الْعُدَاةَ وَكَدَّ الْحَادِثَاتِ كَفَى	وَكَمَّ حَبَا ³ وَعَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ حَنَا
وَكَمْ حَبَا	مَا فَاهَ فِي فَضْحِهِ مَنْ فَاءَ لَيْسَ سِوَى
حَانَ عَلَى كُلِّ جَانٍ حَابٍ إِنْ	حَامٍ شَفَى مِنْ شَقَا جَهْلٍ وَمِنْ عَدَمِ
قَصَدُوا	

¹ الحلبي، صفى الدين، ديوان (دار صادر - بيروت - لبنان) ص 685

² محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي ، شمس الدين ، شاعرٌ عالم بالعربية أعمى ، عاش في الفترة من 698-780 هـ (الأعلام ج 5 ص 328)

³ حبا: يُجْبُو ، مصدر حَبَاءٌ ، حَبْوَةٌ ، حَبْوٌ . " حَبَاهُ اللَّهُ بِالنَّعَمِ "

لَيْثُ الشَّرَى إِذْ سَرَى مَوْلَاهُ صَارَ لَهُ
كافي الأرامِلِ وَالْأَيْتَامِ كَافِلُهُمْ

جَاراً فَجَازَ وَتَيْلًا مِنْهُ لَمْ يَرْمِ
وإفي الندى لِمُوأفِي ذَلِكَ الْحَرَمِ

1

وهذه القصيدة كالقصيدة التي سبقتها تنحو منحى المعارضة الشعرية لقصيدة البوصيري ،
وتنحو أيضاً منحى الفن البديعي ، وهي مثبتة بطولها في كتاب الشاعر " نظم العقدين في
مدح سيد الكونين " .

وعلى ذات الترتيب الزمني تأتي قصيدة الشاعر عز الدين الموصلبي² الموقفي سنة 789 هـ،
لتضع لبنةً أخرى من لبنات المعارضة الشعرية لقصيدة البردة، ويقول الشاعر في مستهل
قصيدته:

فحيّ سلمى وسل ما ركبت بشدا
ملفق مظهر سري وشان دمي
يذيّل العذلَ جارٌ جارحٌ بأذى
مذ تم للعين أنسٌ حين طرفها
هل من تقيٍ نقيٍ حين صحّف لي
لفظي حظي على حظي يمانعه
وكافرٌ نعم الإحسانِ في عدلٍ
يستطرد الشوق خيل الدمع سابقاً
دع المعاصي فشيبُ الرأسِ مشتعلٌ
والعينُ قرّت بهم لما بها سمحوا

قد أطلقتَه أمام الحي عن أمم
لما جرى من عيوني أو وشا ندمي
كلاحقٍ ماحقٍ الآثارِ في الآكم
مرأى الحبيب ببذل العين لم ألم
محرّف القول زان الحكم بالحكم
مقلوبٌ معنى ملا الأحشاء بالألم
كظلمة الليل عن ذا المعنوي عمي
فيفضل السحبَ فضل العرب للعجم
بالاستعارة من أرواحها العقم
واستخدموها من الأعدا فلم تنم

1

¹ الأندلسي، محمد بن جابر، نظم العقدين في مدح سيد الكونين ، تحقيق الدكتور أحمد فوزي الهيب ، ط 1 (دار سعد الدين - دمشق -

سوريا - 2005/1426) ص 491

² علي بن الحسين بن علي، شاعر أديب ، من أهل الموصل. أقام مدة في حلب، وسكن دمشق، وتوفي بها. عام 789 هـ، لم تُذكر له سنة
ميلاد (الأعلام ، ج4 ص 280)

ويظهر في هذه المعارضة البديعية لقصيدة البردة الصنعة اللفظية والميل إلى المنهج البديعي الفني الذي ارتآه شعراء فن البديعيات .

ويلي هذه القصيدة المعارضة زمنياً قصيدة الشيخ محمد المقرئ² المتوفى سنة 849 هـ ، ويقول في مطلعها :

عُجبي عراقي فُعجبي نحو ذي سلمٍ واجنح لسكانها بالسلم والسلم

وقد حاولت جهدي البحث عن القصيدة كاملة لاقتطاع جزءٍ يسيرٍ منها هنا ، كما هو الحال مع سائر القصائد المستشهد بها ، ولكنني لم أقف على غير هذا المقطع .

ويلي قصيدة الشيخ المقرئ زمنياً قصيدة أبي بكر بن حجة الحموي³ المتوفى سنة 837 هـ ، وهي كسابقتها كُتبت في معارضة قصيدة البردة للبوصيري واعتمدت المنهج البديعي الحديث ، ويقول الشاعر في مُفتتح قصيدته :

لي في ابتدا مدحك يا عُربُ ذي
براعة تستهلُّ الدمعَ في العلمِ
سَلَمِ

¹ البديعيات الخمس في مدح النبي المختار والصحابة الكرام ، مجموعة عن نسخ خط قديمة متفرقة (مطبعة المعارف - شارع الفجالة - القاهرة - مصر - 1897م) ص 15

² شمس الدين أبو عبد الله محمد بن خليل الحلبي ثم المقدسي ، عالم بالقراءات وانتهت إليه رئاسة هذا الفن في عصره ، عاش في الفترة من 778- 848 هـ (الأعلام ، ج 6 ص 352)

³ أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي ، ويعرف بابن حجة " تقي الدين أبو المحاسن " أديبٌ ناثراً ناظماً. ولد بحماة وتوفي فيها، عاش في الفترة من 767- 837 هـ (السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، - ط 1 دار الخليل - بيروت - لبنان - 1412 هـ / 1992م)

وركبوا في ضلوعي مطلق السقم
يسعى معي فسعى لكن أراق دمي
كلاحق الغيث حيث الأرض في ضرم
بقربهم وقليل الحظ لم
يلم

وحرّفوا وأتوا بالكلم في الكلم
لفظي عدول ملا الأسماع بالألم
يا معنويّ فهدوني بجورهم
وقصرت كليالينا بوصلهم
بالاستعارة من نيران هجرهم

بالله سر بي فسربي طلقوا وطني
ورمت تلفيق صبري كي أرى قدمي
وذيلَ الهُم هملَ الدمع لي فجرى
يا سعد تم مالي ســــعد
يطرفني

هل من يفني ويقي إن صحفوا عدلي
قد فاض دمعي وفاظ القلب إذ سمعا
أبا المعاذ أخوا الخنساء كنت لهم
واستطردوا خيل صبري عنهم فكبت
وكان غرس التمني يانعا فذوى

1

وتلي هذه المعارضة زمنياً قصيدة الإمام جلال الدين السيوطي² (الأسيوطي - كما ورد في ترجمته في كتاب معجم أعلام المدح النبوي) المتوفى سنة 911هـ، ويقول الشاعر في افتتاحه لقصيدته:

براعة العين في استهلالها بدم
تناقص الجسم من ضرٍ ومن ضرم
تطريف ما أودعوه في طي نشرهم
مشوش الفكر من كلمٍ ومن كلم
حيثي بأحدود خدي همع³ مكتتم
يبلى على مستعارٍ من ودادهم

من العقيق ومن تذكّار ذي سلم
ومن أهيل النقى تم النقا وبدا
وواهلٍ واله قلبه ولبيّ من
محرف الطبع حيث القلب محترق
ولاحق الدمع من عيني تضارع من
ورمت رفو¹ اصطباري إذ تمزع لا

¹ البديعيات الخمس، مرجع سابق، ص 2

² عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر جلال الدين الأسيوطي، أعلم أهل زمانه في الحديث وفنونه رجالا وغربا ومتنا وسندا واستنباطا للأحكام، عاش في الفترة من 809-911 هـ (درنيقة، محمد أحمد، معجم أعلام المدح النبوي، ص 219)

³ ألهمعُ الهمعُ سحابٌ همعٌ: ماطر.

ولا جناح عليه في تلفته
والعاذلون بإيجاب الملام غلوا
ما إن لهم من عقول يهتدون بها
وكلما نسجوا حوكاً بوشيهم
صب له طيران من جناحهم
وما غلوا قيمة من سلب ذوقهم
ولا يبألون من إيجاب نفيهم
عنى لهم رشحوه باختراعهم

2

والقصيدة موجودة بكاملها في مخطوطة " نظم البديع في مدح خير شفيح " للسيوطي ،
وهي من القصائد التي لم تنل الشهرة الواسعة في معارضتها للبردة .

ويلي هذه القصيدة زمنياً قصيدة الشاعرة الفقيهة عائشة الباعونية³ المتوفاة سنة 922هـ ،
وهي من القصائد المعارضة للبردة والسائرة على نهج البديعيات ، وقد سمت الشاعرة قصيدتها
" الفتح المبين في مدح الأمين " وتقول الشاعرة في بداية قصيدتها :

في حُسن مَطَلَعِ أَقْمَارِ بَدِي سَلَمٍ
أَقُولُ وَالِدَمْعِ جَارِ جَارِحٍ مُقْلِي
يَا لِلْهَوَى فِي الْهَوَى رُوحٌ سَمَحْتُ
بِهَا
وَفِي بُكَائِي لِحَالِ حَالٍ مِنْ عَدَمٍ
أَصْبَحْتُ فِي زُمْرَةِ الْعُشَّاقِ كَالْعَلَمِ
وَالْجَارِ جَارٍ بَعْدَلٍ فِيهِ مُتَّهَمِي
وَلَمْ أَجِدْ رُوحَ بُشْرَى مِنْهُمْ بِهِمِ
لَفَقْتُ صَبْرًا فَمَا أَجْدَى لِمَنْعِ
دَمِي
وَجِئْتُ سِلْعًا فَسَلَّ عَنْ أَهْلِهَا الْقَدَمِ
طُوبِيلِعِ حَيْهَمِ وَأَنْزَلَ بِحَيْهَمِ
وَإِنْ هُمُ بِالْتَّنَائِي أَوْجَبُوا أَلْمِي
زَادُوا دَلَالًا فَنِي صَبْرِي فَيَا سَقَمِي
وَتَمَّ سِرٌّ وَضَيْي فِيهِ مِنْ شَيْمِي
يَا سَعْدُ إِنْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ كَاظِمَةً
فَتَمَّ أَقْمَارُ تَمَّ طَالِعِينَ عَلَيَّ
أَجِبَّةٌ لَمْ يَزَالُوا مُنْتَهَى أَمْلِي
عَلَوْا كَمَالًا جَلَوْا حُسْنًا سَبَّوْا أَمَّمَا
أَحْسَنْتُ ظَنِّي وَإِنْ هُمْ حَاوَلُوا تَلْفِي

¹ رفا الثوب ونحوه من كل منسوج : أصلحه وضَمَّ بعضه إلى بعض.

² للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، نظم البديع في مدح خير شفيح، (نسخة حسنة ، 1081هـ)

³ عائشة بنت يوسف بن أحمد بن ناصر الباعوني، شاعرة أدبية فقيهة. نسبتها إلى باعون من قرى عجلون شرقي الأردن ، ومولدها ووفاتها في دمشق سنة 922هـ ، ولم يُذكر لها تاريخ ميلاد (الأعلام ، ج 3 ص 241)

1

اليحمدي وأبو تمام كل شح
عاني العرام إلى قلبي لأجلهم
وعلى ذات الترتيب الزمني نقرأ قصيدة الشيخ عبد الرحمن الحميدي² المتوفى سنة 1005 هـ
، والمسماة بـ " تمليح البديع بمدح الشفيح " ، والتي يقول في مُفتتحها :

3

رد ربيع أسما وأسمى ما يُرام
وحي حياً حواها معدن الكرم
رِم

ولم أقف على ديوان الشاعر الشيخ عبد الرحمن الحميدي الذي احتوى القصيدة بشكل كامل .

ومن القصائد التي نحت منحى المعارضة الشعرية للبوصيري قصيدة الشيخ أبو الوفاء العرضي
الخلي⁴ التي يقول في مستهلها :

براعتي في ابتداء مدحي بذي سلم
قد استهلته لدمع فاض كالعلم

وسأنتقل إلى قصيدة السيد علي خان¹ المتوفى سنة 1120 هـ ، والتي تسير على ذات النهج
السابق في الكتابة الشعرية المدحية ، ويقول في أول أبيات قصيدته:

¹ البديعيات الخمس، مرجع سابق، ص 22

² عبد الرحمن بن أحمد بن علي الحميدي المصري ، فاضل ، كان شيخ أهل الوراق بمصر ، مات سنة 1005 هـ (الأعلام ، ج 3 ص 296)

³ الحميدي، عبد الرحمن، الدر المنظم في مدح النبي الأعظم (ط مصر - 1322هـ) ص 149

⁴ محمد (أبو الوفاء) بن عمر بن عبد الوهاب الخلي، العرضي: مفتي الشافعية بحلب وابن مفتيها ، عاش في الفترة من 993 - 1071 هـ (الأعلام) ج 6 ص 317

له براعة شوقٍ تستهل دمي
مركب الجهل واعقل مطلق الرُّسْمِ
على ملفق صبري بعد بعدهم
وراح جي بلي لاحقاً بهم
وقال همّ بهم تُسعد بقربهم
ما حرفته وشاة الظلم والظلم
مشوّش الفكر من خصمي ومن حكمي
بذكر أنسٍ مضى للقلب في إضم
ووصف حال ابنة حالٍ بحبهم
واستطردوها كخيلي يوم مزدحم

حسنُ ابتدائي بذكري حيرة الحرم
دعني وعجبي وعج بي بالرسوم ودع
بانوا فهان دمي عندي فهان ندمي
وذيل الدم دمعني يوم فرّقهم
يا زيد زيد المني مذ تم طرفني
كم عاذلٍ عادلٍ عنهم يصحف لي
ما زلت في حرق منهم وفي حزن
ظنّوا سلويّ إذ ضنّوا فما لفظوا
قدري أبو حسنٍ يا معنوي بهم
أجروا سوابق دمعني في محبتهم

هذه هي الأبيات العشر الأولى من القصيدة ، وهي كما يظهر متشابهة بشكل كبير مع النماذج التي سبق ذكرها من القصائد المعارضة للبردة .

ومن النماذج الشعرية المعارضة لقصيدة البردة قصيدة الشيخ قاسم البكرة الحنفي² المتوفى سنة 1169 هـ ، وهي أيضاً تنحو منحى المعارضات المدحية البديعية لقصيدة البوصيري ، ومن أبياتها :

من حسنٍ مطلعٍ أهلِ البانِ والعلمِ
براعتي مستهلٌ دمعها بدمِ

¹ السيّد علي خان ابن السيّد أحمد بن محمّد معصوم المدني الشيرازي، وينتهي نسبه إلى زيد الشهيد ابن علي زين العابدين ، عاش في الفترة من 1052 - 1120 هـ (الأميني ، الشيخ عبد الحسين أحمد ، الغدير في الكتاب والسنة والأدب - ط 1) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان - ج 11 - ص 346 - ص 353)

² الشيخ قاسم بن محمد البكرة جي الحلبي الحنفي ، له بديعية في مدح النبي ، وله شرحها المطبوع الموسوم بخلية البديع في مدح النبي الشفيق ، مات سنة 1169 هـ - ولم أقف له على سنة ميلاد - (الغدير - للشيخ الأميني - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان) ص 48

يا صاح عجب بي لعجبي نحو ركبهم
ملفق العزم حالي إذ وهى ندمي
مالي مقربهم أين المفر لنا
وحرّفوا كتبي فالصبر عزّ بهم
ظنّ الوشاة بأنّ الحبّ ضنّ فقل
وراحتي يا فتى من راحتي ذهبت
شيخ العروضين في المعنى اتخذتُك لي
مُستطرداً لعدولي قلت دع عدلي
بالغي قد بعته رشدي فما رجحتُ

هم ركبوا في فؤادي مطلق الألم
وهنتُ في الحب يا هذا وهان دمي
قد صحفوا القول بالتبديل في الكلم
ومرّ تعذيبهم يجلو بعزّهم
يا لهفَ قلبي فهل باللفظ فاه فمي
وتمّ لي طرفٌ يأتُم بالسقم
وابن الوليد فلم تنفع ولم تدم
وملّ كميلي إلى المحبوب والترم
تجارتني فاستعرت الصبر من حلمي

1

وبعد هذه القصيدة أنتقل إلى قصيدة الشاعر قصيدة محمود صفوت الساعاتي² المتوفى سنة 1298 هـ ، والتي ذاع صيتها بين القصاصد المعارضة للبردة والمتوخية فن البديعيات ، ويقول الشاعر في مستهل قصيدته :

سفع الدموع لذكر البان والعلم
وكم بكيت عقيقا والبكاء على
وذيل الدّم دمع العين حين جرى
تسيل عيني لتلميح البروق لها
وربّ ريم كريم القوم طرفني
فعطفه فاتنٌ للسمرِ نسبته

أبدى البراعة في استهلاله بدم
بدرٍ وتوريقي كانت لبدرهم
كما سرى لاحق الأنواء في الظلم
بما جرى من حديث السّيل والعزم
بسهم لحظٍ وغير القلب لم يرّم
وطرفه فاتكُ للباترات نُمي

¹ الأبيات موجودة بشرحها في كتاب " حلية البديع في مدح النبي الشفييع " للشيخ قاسم البكرة الحلبي (طبعة عام 1293 هـ - مكتبة جامعة تورنتو - كندا) من الصفحة 5 إلى 47

² محمود صفوت الساعاتي ، أديب مصري وُلد ونشأ بالقاهرة ، ورحل إلى الحجاز ثم عاد إلى القاهرة ، عاش في الفترة من 1241-1298 هـ (البديعيات في الأدب العربي - لعلي أبو زيد - ص 158)

راعوا نظير المواضي من جفونهم
فألصَّبْ مدمعُهُ صَبَّ لبعدهم
دمعي ولا زان لفظي غير ذكرهم
فليت لي ابن عطاء من خيالهم

من معشرٍ إن نضوا أسيافهم ورنوا
أقمار تَمَّ تعالوا في منازلهم
لا غاض إذ غاظ يوم البين شانئهم
أنا ابن أوسٍ بمدحي المعنوي لهم

1

وهذه القصيدة من القصائد الجياد التي كُتبت في القرن الثالث عشر الهجري ، مع التزامها فنَّ المعارضة الشعرية المدحية البديعية .

وأنقل بهذا الفن إلى أحد أبرز شعراء الحديث ، وأهم ركائز مدرسة الإحياء الشعري وهو الشاعر محمود سامي البارودي²، المتوفى سنة 1322هـ (ومعارضته لبردة البوصيري تدل على اقتناعه بجودة هذه القصيدة ، هذا بالإضافة إلى تدينه العميق ولا سيما في سنواته الأخيرة التي قاسى فيها الكثير من آلام المنفى ، وفقد البصر ، وموت بعض أعزائه الأحباء إليه)³ وقد سَمَّى البارودي قصيدته بـ " كشف الغمة في مدح سيد الأمة " واستهلها بهذه الأبيات :

وَاحِدُ الْعَمَامِ إِلَى حَيِّ بِنْدِي
سَلَمِ
أَخْلَافَ سَارِيَةِ هَتَانَةَ
الدَّيْمِ
رِيُّ النَّوَاهِلِ مِنْ زَرَعٍ وَمِنْ
نَعَمِ

يَا رَائِدَ الْبَرْقِ يَمَّمِ دَارَةَ
الْعَلَمِ
وَإِنْ مَرَّرْتَ عَلَى الرَّوْحَاءِ فَامِرِ
لَهَا
مِنْ الْغِزَارِ اللَّوَاتِي فِي
حَوَالِبِهَا

¹ رشيد، مصطفى، جمع ديوان محمود صفت - مطبعة المعارف - القاهرة 1911. (قدم للديوان ناشره مصطفى بك رشيد، والأديان:

مصطفى لطفى المنفلوطي ومحمد المويلحي)

² سبقت ترجمته ص 25

³ مكِّي، مرجع سابق، ص 142

بُرْدًا مِنَ التَّوْرِ يَكْسُو عَارِيَّ	إِذَا اسْتَهَلَّتْ بِأَرْضٍ نَمَمَتْ
الْأَكْمِ	يَدُهَا
يَخْتَالُ فِي حُلَّةٍ مَوْشِيَّةٍ	تَرَى النَّبَاتَ بِهَا خُضْرًا
الْعَلَمِ	سَنَابِلُهُ
أَحَقُّ بِالرِّيِّ لِكِنِّي أَخُو	أَدْعُو إِلَى الدَّارِ بِالسُّقْيَا وَبِي
كَرَمِ	ظَمًا
وَدَيْعَةٌ سِرُّهَا لَمْ يَتَّصِلْ	مَنَازِلُ لِهَوَاهَا بَيْنَ
بِفَمِي	جَانِحَتِي
بِي الصَّبَابَةِ لِعَبِّ الرِّيحِ	إِذَا تَنَسَّمْتُ مِنْهَا نَفْحَةً
بِالْعَلَمِ	لَعِبَتْ
فِي القَلْبِ مَتْرَلَةً مَرَعِيَّةَ	أَدِرْ عَلَيَّ السَّمْعِ ذِكْرَاهَا فَإِنَّ
الذِّمَمِ	لَهَا
شَوْقًا يَفُلُّ شِبَابَةَ الرِّأْيِ	عَهْدٌ تَوَلَّى وَأَبْقَى فِي الفُؤَادِ
وَالهَمَمِ	لَهُ

1

والقصيدة غير موجودة بديوان البارودي ، ولكنها موجودة بطولها في كتابه المخصوص بها " كشف الغمة في مدح سيد الأمة " ، وعدد أبياتها أربعمئة وسبعة وأربعون بيتاً .

ويليها قصيدة الشاعر المصري الأشهر أحمد شوقي بك ² ، المتوفى سنة 1351هـ ، والتي حازت شهرةً واسعة مقارنةً بغيرها من القصائد التي نهجت منهاج معارضة قصيدة البوصيري ، وقد أسماها الشاعر " نهج البردة " (وهي أشهر معارضة للبردة في العصر الحديث) ³ وقد

¹ البارودي، معهود سامي، كشف الغمة في مدح سيد الأمة، (مطبعة الجريدة - بسراي البارودي - بغيط العدة بمصر - 1327هـ -

مكتبة جامعة تورنتو بكندا) ص 3

² سبقت ترجمته في ص 25

³ مكّي، مرجع سابق، ص 145

سلك فيها الشاعر مسلك من سبقه من الشعراء في معارضة قصيدة البوصيري ، وذكر ذلك في قصيدته بما يشي بتأثر كبير من الشاعر بقصيدة البوصيري وأجوائها الروحانية الإيمانية ، ويقول الشاعر شوقي في مستهل قصيدته :

رَيْمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ	أَحَلَّ سَفَكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ
رَمَى الْقَضَاءُ بَعَيْنِي جُوذِرٌ	يا ساكِنَ الْقَاعِ أَدْرِكِ ساكِنَ الْأَجْمِ
لَمَّا رَنَا حَدَّثْتَنِي النَّفْسُ قَائِلَةً	يا وَيْحَ جَنْبِكَ بِالسَّهْمِ الْمُصِيبِ رُمِي
جَحَدْتُهَا وَكَتَمْتُ السَّهْمَ فِي كَيْدِي	جُرْحُ الْأَحِبَّةِ عِنْدِي غَيْرُ ذِي أَلَمِ
رُزِقْتَ أَسْمَحَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خُلُقٍ	إِذَا رُزِقْتَ التِّمَّاسَ الْعُدْرِ فِي الشِّيمِ
يا لائِمِي فِي هَوَاهُ وَالْهَوَى قَدْرٌ	لَوْ شَفَّكَ الْوَجْدُ لَمْ تَعْدِلِ وَلَمْ تُلْمِ
لَقَدْ أَنْلَتُكَ أَدْنًا غَيْرَ وَاِعْيَةٍ	وَرُبَّ مُنْتَصِتٍ وَالْقَلْبُ فِي صَمَمِ
يا نَاعِسَ الطَّرْفِ لَا ذُقْتَ الْهَوَى أَبَدًا	أَسْهَرْتَ مُضْنَاكَ فِي حِفْظِ الْهَوَى فَنَمِ
أَفْدِيكَ الْفَا وَلَا آوِ الْخَيَالَ فِدَى	أَغْرَاكَ بِالْبُخْلِ مَنْ أَغْرَاهُ بِالْكَرَمِ

2

هذه هي مقدمة قصيدة شوقي التي تعد من أهم القصائد المعاصرة المعارضة للبردة
 البوصيري ، والتي قال عنها صاحب كتاب " المدائح النبوية " : هذه هي نهج البردة ، التي
 نرى أن شوقي كان موفقاً فيها كل التوفيق ، فهي ليست معارضة تقليدية للبردة مما عهدناه
 من قبل ، إنما هي نظرة متأملة لشخصية الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومكانه من التاريخ
 ، باعتباره مبعوثاً ومبلغاً لرسالة السماء ، وباعتباره قائداً وإنساناً .³

¹ الجُوذُرُ (بفتح الذال وضمها) : ولد البقرة الوحشية . والجمع : جَاذُرُ.

² شوقي، أحمد، الأعمال الشعرية الكاملة (دار العودة - بيروت - 1988) ج 1 ص 190 - 191

³ المدائح النبوية ، ص 151

وسأستطرد الآن في ذكر بعض المعارضات الحديثة لبردة البوصيري ، والتي تسير على ذات النهج في المديح النبوي .

وأذكر هنا قصيدة الشيخ أحمد الحملأوي¹ المعاصر للشاعر أحمد شوقي ، والذي كتب قصيدته المدحية المعارضة للبوصيري ربما متأثراً بقصيدة أحمد شوقي " نهج البردة" ، وقد اختار الشاعر الحملأوي لقبصيدته اسماً قريباً من قصيدة شوقي ، إذ سَمَّى قصيدته بـ "منهاج البردة" ومن المصادفات أنَّ الشاعرين قد ماتا في نفس العام 1351 هـ ، وفي مُفتتح القصيدة يقول الشاعر:

يا غافرَ الذنبِ من جودٍ ومن كرمٍ وقابلَ التوبِ من جانٍ و محترمٍ²

يليهها قصيدة الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي³ الملقب سنة 1338 هـ، ويقول في مطلعها

بدیع حسنٌ بدور نحو ذي سلمٍ قد راقني ذكره في مطلع الكلمِ
وسأحتتم هنا نماذج القصائد المعارضة للبردة بقصيدة الشاعر المغربي المعاصر المراكشي
إسماعيل زويريق⁴ ، والتي يستهلها بهذه الأبيات :

يا شاكيَ البانِ كم في البينِ من شكواك تنسابُ لحنا دافقَ الألمِ⁵
سقم؟

¹ أحمد بن محمد بن أحمد الحملأوي نسبة إلى "مُنية حَمَل" من قرى "بُلبُيس" ، عاش في الفترة من 1273-1351 هـ مبارك ، علي ، الخطط التوفيقية — ط1 - بولاق ، المطبعة الكبرى الأميرية - مصر - 1306 هـ) ج 9 ص 77
² الحملأوي، أحمد بن محمد ، ديوان- تصحيح وتحقيق مصطفى السقا - (مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. القاهرة-مصر- 1957).

³ طاهر بن صالح بن أحمد السمعوني الجزائري الدمشقي ، فقيه عالم ، عاش في الفترة من 1268 - 1338 هـ (الأعلام) ج 3 ص 221

⁴ إسماعيل زويريق المراكشي ، كاتب و شاعرٌ معاصر و فنان تشكيلي من مواليد 1944 بمراكش المغرب ، عضو اتحاد كتاب المغرب ، وعضو رابطة الأدب الاسلامي، وعضو نقابة الفنانين التشكيليين (الشبكة العنكبوتية) .

⁵ المراكشي، زويريق، ديوان على النهج، ط 1 (دار وليلي للنشر والتوزيع - مراكش - المغرب - 2004)

والقصيدة بتمامها وطولها موجودة في ديوان " على النهج " للشاعر إسماعيل زويريق ،
وعدد أبياتها ثلاثمائة وبيتان .

ومما سبق من النماذج الشعرية المعارضة لردة البوصيري يمكن أن نستخلص أهم الصفات
والملامح التي تشكّلت منها هذه التجارب الشعرية الإبداعية التي جعلت من ميدان معارضة
البوصيري ميداناً خصباً لكل من لمس في ذاته الشعرية القدرة على النسيج على منوال الشعر
المديحي النبوي .

ولم يكن هذا الفن ليزدهر لولا ما أشربته قلوب الشعراء والشواعر من حبّ حقيقي لنبى
الإسلام محمد -صلى الله عليه وسلم- وحرص على التنافس الشريف في ميدان مدحه
والذب عنه وعن عرضه الشريف ، ويُحسَبُ للإمام البوصيري أنه هو الذي أشعل جذوة
هذه المعارضات بقصيدته الشهيرة والتي أصبحت أشهر من نارٍ على علمٍ في الشعر العربي
والمديح النبوي بوجهٍ خاص.

ومهما يكن من تفاوتٍ بين تجارب الشعراء المذكورين هنا أو غيرهم ممن لم تشملهم
الدراسة ، فإنّ هذا التفاوت لا يُخلُّ بتجاربهم بل يُعزز مقولةَ إنّ الشعراء مراتب ولكنهم
يظلون جميعاً مشتركين في الهدفِ الأسمى والغاية العظمى ، وهي مديح النبي -صلى الله عليه
وسلم- .

الفصل الثاني

"نظر أئمة قصيدة البردة وأثرها في الأدب الحديث"

المبحث الأول: الصور الفنية في قصيدة البردة.

المبحث الثاني: أثر البردة في الأدب الحديث.

"المبحث الأول : الصور الفنية في قصيدة البردة"

لم تكن قصيدة البردة للإمام البوصيري لتنال مكانتها السامية بين سائر القصيد العربي والمديح منه بوجهٍ خاصٍ فقط للغرض الذي اتكأت عليه وجعلته قطب رحاها ، وهو غرضُ المديح النبوي ، ولكنها اعتمدت أيضاً على جوانب فنيةٍ إبداعيةٍ صبغت القصيدة بلونٍ أصيلٍ لا يكادُ يبهتُ مهما كررت عليه الأيام والسنون.

وهذه الصور الفنية العديدة الماثورة في أبيات البردة هي ذاتها تلك الصور التي استخدمها السابقون والمعاصرون للبوصيري من شعراء العربية والمديح منه بوجهٍ خاصٍ ، وما زلنا إلى لحظتنا هذه نسمع من الشعراء من يشبه ممدوحه بالخليل والشمس ونور القمر وغير ذلك من التشبيهات المادية المعتادة في شعر المديح العربي التقليدي ، مع ملاحظة أن الزمن قد تغير وتطورت أدواته ومفردات الخطاب فيه ، وهذا التطور الزمني يستوجب تطور أدوات ومفردات الكتابة الشعرية والمدحية بشكلٍ خاص .

ولم يشذ البوصيري في بُردته كثيراً عن منهج الشعراء السابقين في نسج قصائدهم واستخدام المفردات المعتادة ، ولكنه قد هذب مفرداته وانتقاها انتقاءً فريداً يتضح لكل قارئ للقصيدة ، مع انتقاءٍ ذكيٍّ للصور الفنية في قصيدته وتوجيهها وجهتها الحقيقة بها ، وذلك بأن تكون كل تلك الصور المدحية خالصةً لوجه النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- ، ومُهداةً إلى جنابه الكريم .

ومن مطلع القصيدة بأبياتها المائة والستين وما زاد عليها إلى آخرها ، نجد الكثير من الصور المبهرة والمميزة التي استخدمها الشاعر في قصيدته وأسبغ بها عليها أهميةً من بُعدين ، البعد الأول هو البعد الديني الصوفي العميق الأثر في النفوس المؤمنة ، والذي يجعل من قبول القصيدة وانتشارها بين عامة الناس أمراً اعتيادياً إذا قُرِنَ بهذا البعد الديني ، والبعد الثاني هو البعد الإبداعي الفني التصويري ، وهو البعد الأقدر على منح قصيدة البردة الخلود والديمومة في تاريخ الشعر العربي والمديح النبوي منه خاصة .

وقد اطلعنا في المبحث الثاني من الفصل الأول على بعض التجارب الشعرية التي نُسجت في معارضة بردة البوصيري وفي ذات الغرض الشريف والبحر والقافية ، ولكنها تباينت في مدى الإجادة الفنية ، ووقفت على مسافةٍ بعيدة من بُردة البوصيري .

وسأحاول هنا أن أقف على بعض الصور الفنية في القصيدة لاستجلاء ما فيها من روعة التشبيه المعنوي والمادي ، والصور البيانية التي احتوتها القصيدة ، مُقتصراً على لمحاتٍ سريعةٍ موجزة ، تحاول عرض الصورة وتقريبها قدر الإمكان بعيداً عن التعقيد والتعقيد ، معتمداً على كتاب البردة للبوصيري بشرح الشيخ إبراهيم الباجوري .

يقول البوصيري في مستهل قصيدته :

أمنٌ تذكر جيرانٍ بذي سلمٍ مزجتَ دمعا جَرَى من مقلّةٍ بدمٍ

يظهر هنا استهلالُ الشاعر وابتداء قصيدته بهذا المُفتتح الذي ينحو منحى الشعراء الجاهليين في افتتاح القصيدة بالوقوف على الأطلال وذكر وبكاء الأحبة ، ولكن البوصيري يخلق في قصيدته شخصاً آخر يسأل البوصيري عن سبب بكائه الحار بدمٍ ممزوجٍ بدم ، هل هو بسبب تذكره لجيران كانوا بذي سلم¹ ؟ كما هي عادة الشعراء ، أم أنّ هناك أسباباً أخرى كما جاء في البيت الثاني من القصيدة ؟ والصورة الفنية اللافتة هنا هي منظر اختلاط الدمع بالدم من عين العاشق ، وفي هذا البيت (براعة استهلال لأنّ فيه إشارة إلى أن هذه القصيدة في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم- ، حيث ذكر فيه المواضع التي بقرب المدينة الشريفة ، وفيه الجناسُ الناقص حيث ذكر فيه الدمع والدم ، فإنهما مختلفان ، بزيادة العين وتقصاها).²

¹ موضع بين مكة والمدينة ، قريباً من قديد

² الباجوري، الشيخ إبراهيم، شرح البردة للبوصيري - ط 2 (مكتبة الآداب - القاهرة - مصر - 1413-1993) ص 10

وفي البيت الثالث من القصيدة يقول البوصيري :

فما لعينيك إن قلت أكففا همتا
وما لقلبك إن قلت استفق يهـ

هنا استطاع البوصيري أن يخلع على عينيه وقلبه صفات الإنسان الذي يسمع ويعقل ويعي ، وكلما أسهب في لوم عينيه على بكائهما ازداد بكأؤهما وكأنه أمرهما بخلاف قوله ، وكلما رأى أن قلبه قد أوغل وأبعد في الهوى لام قلبه على ذلك وحرّضه على الإفافة من غيّه ، فإذا بقلبه يزداد جوىً وهياما ، والصورتان في شطري البيت من الصور الفنية اللافتة ، (وفي هذا البيت طباقٌ لأنه جمع فيه بين متقابلين في كلٍّ من الشطرين ، أمّا الشطر الأول فجمع فيه بين الفعلين : اكففا، وهمتا ، وأمّا الشطر الثاني فجمع فيه بين الفعلين : استفق ، ويهم)¹.

ويقول البوصيري في البيت الخامس من قصيدته :

لولا الهوى لم ترق دمعاً على طللٍ
ولا أرقّت لذكر البانِ والعلـ

بالإضافة إلى ما في البيت من معنى يتضمّن الحكمة ، إذ أنّ الهوى والهيام هو السبب الداعي إلى إراقة الدموع من العُشّاق ، هناك أيضاً صورة فنية في البيت وذلك أنّ (في هذا البيت شبه الاشتقاق حيث جمع فيه بين " تُرِقْ " و " أرقّت ")².

وفي البيت الذي يليه يقول البوصيري :

فكيف تنكر حباً بعد ما شـهدتْ
به عليك عدولُ الدمع والسـقم

¹المرجع السابق، ص 13

²المرجع السابق، ص 15

ويختار الشاعرُ هنا مُفردة العدالة التي هي من شروط قبول رواية الرواي ليلبسها الدمعَ والمرضَ ويصورها تصويراً مادياً ، ليصل من ذلك إلى إنكاره على نفسه محاولتها إخفاء ما تستبطنه من حبٍ عميق ، شهدت به الدموعُ المنهلةُ من عينيه والسُّقمُ الذي أوهن الجسد ، (وفي قوله "شهدت" استعارة تصريحية تبعية لأنه شبه الدلالة الواضحة بمعنى الشهادة بجامع الوضوح في كلِّ ، واستعار الشهادة للدلالة ، واشتق من الشهادة بمعنى الدلالة شهدت بمعنى دلَّت)¹.

ويواصل البوصيري إكمال الصورة التي أثبتها في البيت السابق ليقول :

وأثبت الوجدُ خطِّيَ عبرةً وضئِيَّ مثل البهار على خديك والعنمِ

وتكتمل صورةُ الحزنِ هنا حين ينقشُ على وجه العاشقِ خطين من دمعٍ وهُزال ، وقد شبه الشاعرُ الخطين بالبهار وهو زهرٌ أصفر ، والعنم وهو زهرٌ أحمر .

ويواصل الشاعرُ نثر صورهِ الفنية في قصيدته ، ومن ذلك قوله :

محضتني النصحَ لكن لست أسمعهُ إنَّ المحبَّ عن العُدَّالِ في صممِ

وهو هنا يوجه خطابه إلى لائمه المتخيَّل في الهوى ، مُقرأً بصدق لائمه وإخلاصه في نصحه ، ولكنه كما يقول البوصيري " إنَّ المحبَّ عن العُدَّالِ في صممِ " ، وهذه بحق من

¹ الباجوري، مرجع سابق، ص 16

حكم البوصيري التي أسكنها هذه القصيدة ، إذ لا يكادُ الحبُّ المذنبُ يسمعُ لومَ لائميهِ ولا نصيحةَ ناصحيهِ لأنَّ قلبه قد تشرَّبَ الهوى ، فلا يجدُ بُدًّا من متابعة قلبه عوضاً عن مغالبتِهِ .

ويُكمل الشاعرُ ما ابتدأه من لومِ نفسه على غيها فيقول :

فإنَّ أمارتي بالسوءِ ما تعظمتُ
من جهلها بنذير الشيبِ والهـرمِ

يقف هنا البوصيري معاتباً نفسه ومقراً بتقصيره ، واصفاً نفسه بأنها لا تكاد تكل أو تمل تزيين له سوء الفعالي ، ولم تتعظ يوماً بنصائح الناصحين ، وخاصةً الشيبِ والهـرم اللذان إذا ما هجما على الإنسان فإنهما يكفیان لوعظه وتخويفه وردة عن غيِّه ، ولذلك فإنَّ نفسه تستحق أن يصفها بالنفس الجاهلة .

هذه النفس الأمارة بالسوء يُكمل البوصيري وصفها هنا ليقول :

ولا أعدتُ من الفعل الجميل قرى
ضيفٍ ألم برأسي غير محتشم

هنا صورةٌ شعريَّةٌ غايةٌ في الجمالِ والبساطة ، فهاهو الشاعرُ يأسى على نفسه لأنها لم تقم بإعداد القرى والطعام ويقصد به الأعمال الصالحة ، للضيفِ الطارئِ الذي ألمَّ به سريعاً دون ميعادٍ سابق ، ويقصد بالضيفِ الشيبَ الذي غزا رأسه سريعاً ، وهذا الضيف كما وصفه الشاعر جريءٌ غير مستحيٍ ، على خلاف عادة الضيفان ، ولذلك فإنه يعتب على نفسه لأنها والحالة كذلك أدعى إلى الإسراع والمبادرة في إعداد القرى والزاد ، وفي البيت (استعارة مصرحة .. لأنه شَبَّه الشيب بالضيف بجامع الطروِّ في كلِّ ، فإنَّ سواد الشعر كان

ملازماً للإنسان فلما تبدّل بالشيب كان كالضيف في طروءه على الشخص بعد أن لم يكن ،
واستعار اسم المشبه به للمشبه¹.

ويتمّ البوصيري هذه الصورة بقوله :

لو كنتُ أعلمُ أني ما أوقـرُهُ كتمتُ سرّاً بدا لي منه بالكتـمِ

يقول البوصيري هنا أنه لو علم قبل مجيء الشيب الذي وصفه بالضيف المفاجئ بأنه لن
يستطيع إكرامه كما يجب وتوقيره كما هو حقُّ له ، لغطّى ما افْتُضِحَ من سره (وهو الشيب)
بالكتّم وهو نبتٌ كالحنّاء يُخصبُ به الشعر .

وما زال البوصيري يعظ نفسه ويأمرها بسلوك سبيل الخير والفلاح ، فيقول :

فلا ترمُ بالمعاصي كسرَ شهوتها إنَّ الطعامَ يقوي شهوةَ النهـمِ

والشاعرُ هنا ينصح لنفسه بالألّا تظنّ بأنها حين تُسرفُ في المعاصي والشهواتِ وتمكين
حالتها مما تريدُ بأنها ستكسرُ بذلك حدّة شهواتها ورغباتها ، بل الأمر على العكس مما تظن ،
واستدل البوصيري لفكرته بالشرط الثاني من هذا البيت الذي احتوى حكمةً حقيقية بقوله :
"إنَّ الطعامَ يقوي شهوةَ النهـمِ" ، إذ يكون الشرُّ النهـمُ أشدَّ إقبالاً على الطعامِ وإسرافاً فيه
واشتهاءً له ، فلا يمكن أن يكون إقباله على الطعامِ مُخفّفاً لشرائته ونهمه .

ويؤكّد البوصيري الفكرة السابقة بهذا البيت الذي جرى مجرى الحكم الخالدة ، إذ يقول

:

¹ الباجوري، مرجع سابق، ص 23

والنفسُ كالطفلٍ إن تُهملهُ شبَّ على

حبُّ الرضاعِ وإن تَفطمهُ ينفطُم

هذا البيت يحمل بجانب صورته الفنية معنى فكرياً رفيعاً احتوى الحكمة الصادقة ؛
والشاعر هنا (شبه النفس بالطفل في عدم المللِ والسامة بالاستمرار على المألوفات ، كما أنَّ
الطفلَ إن تركته على ما أَلفه من الرضاعِ دام على حبه ، وإن منعتَه عنه امتنع ، كما ذكره
بقوله : إن تهمله ... إلخ ، كذلك النفس إن تركتها على ما أَلفته من المعاصي دامت على
حبه ، وإن منعتها عنه امتنعت)¹.

وفي البيت التالي يُكمل البوصيري توصيفه للنفس بقوله :

فاصرفْ هواها وحاذرْ أن تُولِّيَهُ
إنَّ الهوى ما تولَّى يُصمِّمُ أو يَصمِّمُ

وليس من دواءٍ أو شفاءٍ لهذه النفس إلاَّ أن تُصرفَ عن هواها الذي تبتغيه وتسعى إليه ،
والشطر الثاني من البيت فيه حكمةٌ لطيفةٌ "إنَّ الهوى ما تولَّى يُصمِّمُ أو يَصمِّمُ" والحكمة هنا
من صور الجمال الفني في القصيدة ، إذ أنَّ الهوى إذا تمكَّن من أيِّ نفسٍ فإنه يجعلها ملتصقةً
بالعيوبِ والمخازي ، وربما أسرف فيها وأودى بها للهلاك ، وهنا في الشطر الثاني من البيت
(استعارةٌ بالكنايةٍ وتخيل ، لأنه شبَّه هوى النفس بإنسانٍ طالبٍ للولاية والإمارة تشبيهاً
مُضمراً في النفس وطوى لفظ المشبَّه به ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه ، وهو منعه من الولاية
والإمارة)².

ويواصل البوصيري نصائحه للنفس الأمارة بالسوء فيقول :

واخشِ الدسائسَ من جوعٍ ومن
فُرْبٍ مَحْمَصَةٍ شرٌّ من التخرمِ

¹ الباجوري، مرجع سابق، ص 25

² المرجع سابق، 27

لأنَّ انصراف النفس عن هواها والميل عنه يلزم منه أن تكون على حذرٍ من مكائد النفس وهي كثيرة ، ومنها الجوعُ والشبعُ الماديان إلى المحسوسات ، والمعنويان إلى غيرها ، (فالدسائس من الجوع كالحِدَّةِ وسوء الخُلُق ، والدسائس من الشبع كالكسل عن العبادة)¹ ، وفي الشطر الثاني من البيت ملمحٌ فني في الحكمة القائلة " فُرْبٌ مَحْمُصَةٌ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ " وذلك لأنَّ الصبر على الجوع بشقيه الحسي والمعنوي مع الجزع والتسخُّطِ والاعتزاز بالعمل ، شرٌّ من التخمة بشقيها الحسي والمعنوي إن صاحبها الشكرُ والحمدُ لله والاعترافُ بجميله .
وفي ذات السياق المختص بنصح النفسِ وتحريضها على فعل الخيرات ، يقول البوصيري :

لقد نسبتُ به نسلًا لذي
عُقْمٍ

أستغفرُ الله من قولِ بلا
عملٍ

والاستغفار هنا من الشاعر دليل على اعترافه بأنه قد يقول الخير ويدعو إليه ولكن نفسه لا تطاوعه على العمل به ، لذلك فهو يستغفر الله من حالته هذه ، والصورة الفنية هنا في التشبيه الجميل الذي شبَّه به الشاعرُ القولَ بلا عمل ، بالابن يُسَبُّ إلى العقيم الذي لا يلد ، وهذه من المستحيالات .

وفي معرض الثناء على النبي -صلى الله عليه وسلم- ومدحه وذكر عبادته ، وهو غاية ما أراد الشاعرُ بما سبق من أبيات أن يصل إليه ، يقول :

إن اشتكتُ قدماه الضرَّ من ورمٍ

ظلمتُ سنَّةً منْ أحيا الظلامَ إلى

¹ الباجوري، مرجع سابق، ص 29

يتهم الشاعرُ نفسه هنا بأنها قد ظلمت سنة محمد -صلى الله عليه وسلم- ولم تسر على نهجها كما يجب، واختار الشاعر مفرداتٍ تضح بالحياة والروعة الفنية "سنة/أحيا/الظلام" ليصل إلى رسم صورةٍ بيانية توضح ما آلت إليه نفسه المقصّرة ، فهو هنا قد اعترف بجوره على طريقة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي أحيا بسنته وعبادته ظلام الكون الروحي والمادي ، والشاعرُ هنا قد (شبه الإنارة بالإحياء بجامع النفع في كلٍ ، واستعار الإحياء للإنارة، واشتق من الإحياء بمعنى الإنارة أحيا بمعنى أنار، أو شبه الظلام بمعنى الليل المظلم بميتٍ يحيا تشبيهاً مُضمراً في النفس، وطوى لفظ المشبه به، ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه، وهو الإحياء) .¹

ومن سجايا النبي -صلى الله عليه وسلم- الكفاف وعزة النفس ، يقول البوصيري :

وراودته الجبالُ الشُّمُّ من ذهبٍ
عن نفسه فأراها أيما شمم

وذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان فقيراً ولكنه كان بمسطاعه أن يغتني لو أراد ذلك ، ولكنه أحب أن يعيش مع الفقراء ويُحشر في زمرةم ، ولذا مثل الشاعرُ بهذه الصورة الفنية الجبالَ الذهبية الشاخحة وهي تراود النبي -صلى الله عليه وسلم- عن نفسه وتعرض له كنوزها ، (وإسنادُ المرادة إلى الجبالِ مجازٌ ، لأنَّ الله هو الذي خيَّره في ذلك)² ولكنه لم يلتفت إليها وإنما أحال طرفه عنها وأراها منه عزةً لا تُسامى ، ورفعةً لا تُضاهى غيرها ، وهذا هو دأب الأنبياء .

ومن الصور المدحية الفنية في البردة -بالرغم من المبالغة فيها- قول البوصيري :

¹ الباجوري، مرجع سابق، ص 36

² المرجع السابق، ص 38

لو ناسبت قدره آياته عِظْمًا

أحيا اسمه حين يدعى دارسَ الرِّمَمِ

وفي هذا البيت يُبالغُ البوصيري في رسم صورةٍ فنيةٍ لمديح النبي -صلى الله عليه وسلم-
ووصفٍ ما يُمكن لاسمه الكريم أن يكونه ، وذلك أن المعجزات التي بُعث بها النبي محمد -
صلى الله عليه وسلم- مهما علا شأنها لم تصل إلى مرحلةٍ يمكن فيها أن تتساوى معه -صلى
الله عليه وسلم- في قدره الشريف ، وأنها لو ناسبت قدره السامي الرفيع ، لكفى بذكر اسمه
سبباً لإحياء ما درسَ وامتحن من عظام الموتى البالية ، والصورة هنا في الشطر الثاني من البيت
فنيةٌ رائعةٌ بالرغم من مبالغة الشاعر .

وفي مجال وصف النبي -عليه السلام- يقول الشاعر :

يُظْهِرُنْ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

فإنه شمسٌ فضلٍ هم كواكبُها

في هذا البيت صورة فنية من صور القصيدة ، وهي التشبيه ، إذ يشبه الشاعرُ النبي محمد
-صلى الله عليه وسلم- بالشمسِ ووجه الشبه هو الإضاءة ، ويشبه باقي الأنبياء بالكواكب
التي تستعير من الشمس الضياء كي تنير به عتمتها وتنير دياجي الناس ، فهي فروغٌ لأصلٍ
واحد هو محمدٌ -صلى الله عليه وسلم- .

ومن ملامح كمال الذات النبوية ما يذكره الشاعرُ في البيت التالي :

والبحر في كرمٍ والدهر في همَمِ

كالزهرِ في ترفٍ والبدر في شرفٍ

يُواصل الشاعرُ وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- وينتقي لذلك تشبيهاتٍ دقيقة تتماشى والسيرة النبوية ، فتشبيهه النبي -صلى الله عليه وسلم- (بالزهرِ في الترفِ وبالبدْرِ في الشرفِ راجعٌ إلى صورته الشريفة ، وتشبيهه بالبحرِ في الكرمِ وبالدهرِ في الهممِ راجعٌ إلى خلقه الكريمِ ، والزهرُ نُورُ النباتِ -بالفتح- ، والترفُ : النعومة)¹ ، وقد لجأ الشاعرُ إلى صورة فنيةٍ بلاغيةٍ في استعمال الجناس الناقص بين " ترفٍ ، وشرفٍ " وبين " كرمٍ ، هممٍ " ، وهو استخدامٌ فني ، ويتجلّى إبداعُ الشاعر هنا في احتواء هذا البيت على أربعة تشبيهاتٍ لمشبه واحد ، وهي : الزهرُ والبدْرُ والبحرُ والدهرُ ، كلّها لمشبه واحد هو محمد -صلى الله عليه وسلم- .

وفي البيت التالي تشبيهٌ من أروع ما جاء في البردة إذ يقول الشاعر في وصف النبي :

كأنه وهو فردٌ من جلالته
في عسكرٍ حين تلقاه وفي حشَمِ

وقد أجاد البوصيري في التقاط هذه الصورة الفنية التي لا تصدق ولا تليق إلا بمحمد -صلى الله عليه وسلم- ، إذ يقول : إنَّ النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- قد وهبه الله هبةً في النفوس لا يملكها غيره ، فلا يكادُ يلقاه أحدٌ إلا وينبهرُ بشخصيته -صلى الله عليه وسلم- فكأنه يسيرُ بجيشٍ من العظمة وفوجٍ من الحشمِ والخدمِ والأهلِ ، مع أنَّ الحالة أنه يسيرُ وحده مُحاطاً بجلالة وهيبة النبوة .

ومن الصور الفنية في القصيدة الجناس الذي ورد في هذا البيت :

يومٌ تفرّس فيه الفرس أنهمُ
قد أنذروا بجلول البؤس والنقمِ

¹ الباجوري، مرجع سابق، ص 58

وهو يصف هنا ما ألمَّ بفارس يوم ميلاد النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- لأنهم علموا بأن ميلاده سيكون علامةً على زوالهم ، فقد تفرَّسوا في ذلك اليوم بأن هناك حدثٌ ما سيهز إيوان كسرى ويزيل ملكهم ، وقد استخدم الشاعر هنا الجناس الناقص بين " تفرَّس و الفُرس " وهو من الاستخدامات الفنية في القصيدة .

ويُكمل البوصيري التوصيف البارِع في هذا البيت لما حدث للفرس ذلك اليوم ، فيقول :

والنارُ خامدةُ الأنفاسِ من أسفٍ عليه والنهرُ ساهي العينِ من سدَمِ

يواصل البوصيري هنا وصف ما حلَّ بإيوانِ كسرى يوم ميلاد النبي -صلى الله عليه وسلم- ، ويصف ما حلَّ بنارِ الجوس ونهرهم وصفاً شاعرياً فنياً جميلاً ، إذ خلعَ عليها صفات البشرية ، فقال عن النار إنَّ أنفاسها قد خمدت وسكن لهيئها ، بينما توقف جريانُ النهرِ لشدة ما رابه من الحزنِ والأسفِ والحيرة ، وقد استعار الشاعر هنا الأنفاس للنار ، والأسف والحزن للنهر ، وهو ملمحٌ فنيٌّ جميل .

وإكمالاً للصورة الماضية يقول الشاعر :

وساءَ ساوةَ أنْ غاضت بحيرتُها ورُدَّ وارْدُها بالغيظِ حين ظمِي

لم يخلُ هذا البيت من حسن التصوير الشكلي وانتقاء المفردات التي تصبغه بالصبغة الفنية ، "ساء ، ساوة" و "رُدَّ ، وارْدُها" وهذه المفردات الذي يراد بها الجناس الناقص تُعطي قيمةً فنيةً للبيت الشعري ، وقد أراد الشاعر هنا أن يخبرنا بما حلَّ بمدينة ساوة الفارسية (بين

همدان والري) ¹ وما ساءها من خبر ميلاد النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى قلّ منسوب ماء بحيرتها ، ورجع الوردون الظمأ منها وهم أشد ظمأً .

وتكتمل الصورة الفنية بهذا البيت الشعري المتقن البديع :

كأنّ بالنار ما بالماء من بلل حزناً وبالماء ما بالنار من ضرم

يستعير الشاعر هنا بلل الماء ليلبسه النار ، ويستعير اشتعال النار ليلبسه الماء ، وهذا التنافر بين الحالتين يوضح بجلاء ما قصد الشاعر الإفصاح عنه ، وكيف كان لنبا ميلاد النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- الأثر الكبير على الكائنات والجمادات التي أحسّت بذلك ، وشعرت به ، والصورة الفنية الرائعة تتجلى في هذه الاستعارة التي صبغت البيت الشعري .

وفي ذكر معجزات النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول الشاعر :

جاءتْ لدعوته الأشجارُ تمشى إليه على ساقٍ بلا قـدمِ
ساجدةً

والصورة هنا تحكي معجزة من معجزات النبوة ، ولكن الشاعر أضاف إليها صورة فنية إذ صور إزعان الأشجار لنداء النبوة ومجيئها إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- خاضعة خاشعة مؤمنة برسالته ، والصورة الفنية هنا في استعارة السجود والمشي اللذان هما في الأصل صفتان للأحياء المتحركة لئيسبغهما على الأشجار الجامدة .

وفي ذكر هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبي بكر الصديق ، يقول الشاعر :

فالصدقُ في الغار والصدِّيقُ لم يَرمِما وهم يقولون ما بالغار من أرمِ

¹ الباجوري، مرجع سابق، ص 65

وهو هنا يعيد تذكر قصة الهجرة واختباء النبي وصاحبه أبي بكر في الغار ، فيقول : (فالصدق ... إلخ ، أي فذو الصدق)¹ ويقصد به محمداً -صلى الله عليه وسلم- ، والصديق يقصد به أبا بكر -رضي الله عنه- ، والصورة الفنية هنا حقيقية في اللفظ وليست مجازية في المعنى ، باستخدامه لمفردتي " الصدق والصديق " التي قصد بهما على التوالي النبي وصاحبه ، و " يرما وأرم " التي قصد بهما على التوالي لم يبرحا و لا أحد ، وهي مفردات أراد بها الشاعرُ الجناسَ الناقص بين كل مفردةٍ وأختها ، والصورة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد اختبأ في الغار هو وصاحبه أبو بكر -رضي الله عنهما- وقد وقف المشركون على الغار باحثين عن النبي وصاحبه ، وبينما هما في الغار لم يبرحاه كان المشركون يقولون لبعضهم ليس في الغار من أحد .

ويقول البوصيري في شرف القرآن ومدحه هذا البيت :

دعني ووصفي آياتٍ له ظهرتُ ظهورَ نارِ القرى ليلاً على علمٍ

وهو هنا يقول بأنه لن يتكلف الحديث عن معجزات النبي -صلى الله عليه وسلم- فقد ظهرت وشاعت بين الأنام ، ويستعيضُ بهذه الصورة الفنية فيقول : "ظهور نار القرى ليلاً على علم" ، فنار الضيفان المشبوبة تظهر للرائي من بعيد فكيف بها وهي في دُجّة الليل وعلى مرتفعٍ يراه الجميع ، وذلك أدعى لئلا يُكثر الحديث عنها ، وهذا التشبيه غاية في الجمال حيث شبه معجزات النبي وآياته بنار الضيفان المشبوبة ليلاً على قمةٍ يراها الجميع.

ثم يُتبع البوصيري البيت السابق بهذا البيت المكمل له ، فيقول :

فالدُّرُّ يزداد حسناً وهو منتظَّمٌ وليس ينقصُ قدرًا غير منتظَّمٍ

¹ الباجوري، مرجع سابق، ص 76

يصف الشاعر هنا آيات النبي -صلى الله عليه وسلم- ومعجزاته بالدُرِّ الغالي النفيس الذي يزدادُ جمالاً حين ينتظمُ في العقد ، وذلك بذكر معجزاته ونظمها ونثرها ، ولكنَّ الدُرَّ لا يقل قدره حين لا يكون منتظماً في العقدِ ، (وفائدةُ قوله : وليس ينقصُ قدرًا غير منتظمٍ ، الاحتراسِ الرافعُ لما يُتوهمُ من أنَّ ازديادِ الحسنِ بالنظمِ يوجبُ نقصَ القدرِ عند عدمِ النظمِ...¹) وهذا البيت فيه حكمةٌ سائرةٌ لطيفة .

وفي معرض حديثه عن شرف القرآن الكريم يقول البوصيري :

رَدَّتْ بِلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحَرَمِ

يقول البوصيري إنَّ آيات القرآن الكريم قد أبطلت بنفسها وبما فيها من البلاغة والبيان الرباني دعوات معارضيها ، وأنَّ آيات القرآن الكريم هي من تتولى الدفاع عن نفسها أمام دعاوى المكذبين لها والمحاولين الإتيان بمثلها ، ويكفي لرد كذبهم وافترائهم النظرُ إلى ما في القرآن الكريم من بلاغة لا يضاهيها أي بليغ ، وهذا الرد القرآني حازمٌ صارمٌ ، شَبَّهه الشاعرُ في الشطر الثاني بردَّ الرجل الغيور على محارمه يد الذي يحاول الاعتداء عليهم ، ولا شكَّ في أنَّ رده سيكون بليغاً مؤلماً ، وهنا تظهر الصورة الفنية البلاغية المؤثرة .

ويواصل الشاعر الحديث عن شرف القرآن ومكانته ، فيقول :

فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْتَارِ بِالسَّامِ

في هذا البيت يقول الشاعر إنَّ آيات القرآن الكريم ملآى العجائب التي لا يمكن أن يحصرها أحدٌ أو يحيط بها علما ، ومع ذلك فإنَّ هذه الآيات بما فيها من العجائب والغرائب

¹ الباجوري، مرجع سابق، ص 87

ما زالت تُقرأ منذ نزلت ولا توصفُ مع المداومة عليها والإكثار منها بالسأم والملالة ،
والصورة الفنية هنا في لجوء الشاعر إلى الجنس الناقص في بين المفردتين " تُسام و السأم " .

وفي ذات النهج الذي يصف فيه البوصيري آيات الكتاب العزيز يقول :

كأنها الحوضُ تبيضُ الوجوه به من العصاة وقد جاؤوه كالحُمَمِ

هنا تشبيهٌ بديع من الشاعر البوصيري لآيات القرآن الكريم بحوض النبي -صلى الله عليه
وسلم- يوم القيامة الذي يرده العصاةُ المذنبون ، وقد اسودَّت وجوههم كالفحم فيصدرون
عن الحوضِ وقد ابيضت وجوههم ، (ووجه تشبيهها بالحوض المذكور أن الآيات تشفع في
تاليها وقد جاء مسودَّ الوجه من المعاصي ، فيبيضُّ وجهه بشفاعتها ، كما أن الحوض تبيضُّ
به وجوه العصاة حين يُصبُّ عليهم منه بعد مجيئهم من النار كالفحم في السوادِ الذي أصابهم
من النار ، فيعودون بيضاً كالفراطيس) .¹

ويريد البوصيري الرد على منكري القرآن والمشككين فيه ، بهذا البيت فيقول :

قد تُنكرُ العينُ ضوءَ الشمس من رمدٍ وينكرُ الفمُ طعمَ الماءِ من سَقَمِ

وهذا البيت الذي يجري مجرى الحكمة واضحٌ صريح ، وفيه تشبيه بليغ إذ يُشبه الشاعرُ
إنكار المعاندين للقرآن الكريم ، بإنكار العين الرمداء لضوء الشمس ، مع اتفاق الناس جميعاً
على إثباتها ، وأيضاً بإنكار فم المريض عذوبة الماءِ مع اتفاق الناس على عذوبته ، وهنا تكون

¹ الباجوري، مرجع سابق، ص 97

هنا تصويرٌ تمثيليٌ بديعٌ حيث يُشبهُ الشاعرُ الفزعَ والروعَ الذي أصاب قلوب أعداء الدين عندما أخبرهم الكهنة بقرب موعد بعثته -صلى الله عليه وسلم- ، بالصرخة القوية التي أفرغت أغناماً غافلاً عن الخطر المحدق بها ، و (إسنادُ -الفعل- راعت إلى أنباء البعثة من المجاز العقلي ، لأنَّ موجد الروع في القلوب هو الله تعالى ، وأنباء بعثته إنما هي سبب ، فهو من إسنادِ الفعلِ إلى سببه) .¹

وفي ذاتِ السياق يتحدث البوصيري عن جهاد النبي -صلى الله عليه وسلم- فيقول :

كأنما الدينُ ضيفٌ حل ساحتهم بكل قرمٍ إلى لحم العدا قـرم

هنا يشبهُ البوصيري الإسلام بالضيف الذي حلَّ بأرض الكفارِ على حين غرّة ، وهذا الضيف -الإسلام- جاءهم بكل سيّدٍ شجاعٍ مُهابٍ، يشتاقي إلى تمزيقِ لحومِ أعدائه، وقد أفادَ الشاعرُ في تقوية الصورة الفنية في البيت باستعمال الجناس التام في المفردتين (قرم و قرم) .

ويقول البوصيري واصفاً أثر جهاد صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :

حتى غدتْ ملّةُ الإسلامِ وهي بهم من بعد غرْبَتها موصولة الرَّحِم

وكانَ الإسلامُ كان شخصاً غريباً عن قومه وهي الملل والأُمم الأخرى ، مقطوع الرحم والصلة به من غيره ، ولكنه غدا بجهادِ المسلمين ودفعهم عنه موصول الرَّحِم ، مُهاباً بين سائر الأديانِ عزيزاً ، وتشبيهه الإسلام بالشخص ذي الرحم الموصولة تشبيهُ بديع .

وما زال البوصيري يواصل الحديث عن جهاد النبي -صلى الله عليه وسلم- - وصحابته ،

ويقول في وصفهم :

¹ الباجوري، مرجع سابق، ص 109

والوردُ يمتازُ بالسيما عن السَّلمِ

شاكي السلاح لهم سيما تميزُهُم

يصف البوصيري صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين حضروا معه المشاهد والجهاد ، يصفهم بأنهم يتسمون بصفاتٍ تميزهم عن غيرهم من الجيوش وهذه الصفة هي أنهم شاكي السلاح ويقصد به (حادّيه .. وبعضهم فسّره بتأمّيه أي جامعين لأنواعه ، والمناسب أخذه من الشوكة التي هي الحدة)¹ ، وفي استخدام الشاعر لمفردة "سيما" الأولى وتعني العلامة ، ومفردة "سيما" الثانية وتعني الرائحة الطيبة ، ملمحٌ في وهو ما يسمى بالجناس التام .

وفي البيت التالي يُكمل الشاعر الصورة الماضية فيقول :

فَتَحَسَبُ الزهرَ في الأَكمام كلَّ كمي

تُهدِي إليك رياحَ النصرِ نشرَهُم

يقول الشاعرُ إنَّ الرياح تحمل أخبار انتصارات النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحابته المجاهدين معه ، وتبعثها عطوراً إلى كل مشتاقٍ لسماع هذه الأخبار ، وترسلها بمثابة هدايا تقدمها إلى الناظرين ، والصورة الفنية في الشطر الثاني أبلغ حيث إنَّ هذه الرياح بعد حملها لعطور وأخبار الانتصار تُحِيلُ للمستنشق لها أنَّ الزهور التي تتفتّق عن أكمامها هي الفرسان الشجعان ، والصورة الفنية في الشطر الثاني في استخدام التشبيه المقلوب (كان حق الكلام أن يقول : فتحسبُ كلَّ كميَّ الزهرَ في الأَكمام)² ، وفي استخدامه لمفردتي " الأَكمام وكمي " جناسٌ ناقص .

¹ الباجوري، مرجع سابق، ص 118

² المرجع السابق، ص 118

ويصف البوصيري في البيت التالي ثبات الصحابة في جهادهم ، فيقول :

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبَتْ رُبًّا مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ

هذا التشبيه التمثيلي البليغ من أجمل الصور التي احتوتها أبياتُ البردة ، والصورة الفنية فيه فاتنةٌ بديعة ، إذ يشبّه الشاعرُ ثبات الصحابة على خيولهم في ساحة الجهاد ، بثبات نباتات الروابي -وهي كل ما ارتفع عن الأرض- ، وإن كانت النباتات ثابتة بسبب مادي وهو التصاقُ أصولها بالأرض ، فإنَّ ثبات الصحابة على ظهور خيولهم منبعه سببٌ معنويٌّ لا مادي ، وهو حزمهم وبأسهم في الجهاد ، وليس بسبب الحزم التي يمكن أن يخطر في بالِ المستمع أنهم قد رُبُّوا وشُدُّوا بها على خيولهم ، واستخدم الشاعر الجناس التام في المفردتين " الحزم -بمعنى البأس والمضاء ، والحزم -بمعنى الرباط " .

وتظهر صورة فنية من صور القصيدة في قول الشاعر :

كَمْ جَدَّلْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ جَدَلٍ فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبِرْهَانُ مِنْ خَصِمٍ

في هذا البيت لجأ الشاعرُ إلى استخدام الجناس الناقص والتام ، وكان الجناسُ الناقص بين المفردتين "جدلت ، جدل " بينما الجناس التام بين المفردتين " خصم ، وخصم " ، ويظهر أثر هذه الصناعة الفنية في البيت الشعري .

وفي الأبيات الأخيرة من القصيدة يتحدث الشاعر عن تقديم الآجل من أمور الآخرة على

العاجل من أمور الدنيا ، فيقول :

وَمَنْ يَبِيعُ آجَلًا مِنْهُ بِعَاجِلٍ يَبِينُ لَهُ الْعَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمٍ

وذلك في التحذير من تقديم أمر الدنيا على الآخرة ، وشبه الشاعر من يفعل هذا بالبائع الذي يقبل البخس العاجل عوضاً عن الثمين الآجل ، ومن كانت هذه هي حاله فلا بد وأن تظهر له عواقب فعله ، ولجأ الشاعر هنا إلى استخدام التضاد في المفردات بين " الآجل والعاجل ، والبيع والسلم " لأنّ السلم نوعٌ من البيوع يلزم فيه تعجيل الثمن وتأجيل المُثمن . وأختم الوقفات على الصور الفنية المنتقاة من هذه القصيدة ، بهذا البيت :

ولن يفوت الغنى منه يداً تربتْ
إنّ الحيا يُنبِتُ الأزهارَ في الأكَم

يريد البوصيري أن يقول بهذا البيت بأنّ كل ملتجئٍ ومستشفعٍ بجنابِ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سينال بُغيته ومطلوبه ، حتى ولو كان أبعد الناس عن سلوك الغاية ، ولو كان أفقر الناس وألصقهم بالتراب ، لما رجع من رسول الله إلاّ بالغنى التام ، والفقر هنا بشقيه المادي المختص بالمال والعيال ، أو المعنوي المختص بالإسراف في الذنوب والبعد عن سبيل الحق ، والصورة الفنية الإبداعية هنا في التشبيه التمثيلي في الشطر الثاني من البيت حيث شبه الشاعر النبي محمداً -صلى الله عليه وسلم- بالحيا وهو المطر ، وشبه إحسانه المادي والروحي بالأزهار النابتة في الآكام وهي الأماكن العالية الوعرة ، ووجه التشبيه الحياة والخصب في كلِّ ، (والتشبيه المذكور إنما هو على سبيل التقريب ، وإلاّ فهو عليه الصلاة والسلام لا يحيط بحقيقة كماله إلاّ الله تعالى) .¹

هذه هي الأبيات الثلاثة والأربعون التي انتقيت منها بعض الصور الفنية في قصيدة البردة للبوصيري ، ورجعت إلى كتاب "البردة للبوصيري، بشرح الشيخ إبراهيم الباجوري" للاستزادة بما أضافه فيه من لمحاتٍ في شرحه ، وما زال في القصيدة الكثير من الصور الفنية التي

¹ الباجوري، مرجع سابق، ص 130

تستحق وقوفاً خاصاً على كل صورةٍ منها ، لمن أراد الاستزادة من هذه الصور في مظاهها
الأصيلة .

" المبحث الثاني: أثر البردة في الأدب الحديث "

كل الأعمال الأدبية الخالدة في التاريخ سواء كانت نثرية أم شعرية ، لا بد وأن تكون
ذات أثرٍ واضح في الثقافات التي تنتمي إليها بشكلٍ إيجابي ، بل إنها قد تتجاوز نطاقها الثقافي
الضيق لغوياً كان أم مجتمعياً ، إلى نطاقاتٍ أوسع وأشمل حين تكون هذه الأعمال محتويةً على
همومٍ ومشتركاتٍ اجتماعيةٍ و إنسانية .

وقصيدةُ البردة للإمام البوصيري كغيرها من هذه الأعمال التي نالت الخلود الأدبي لا بد
وأن يكون هذا الخلود الذي نالته مرتبطاً بتأثيرها وإثرائها للتراث الذي تنتمي إليه ، وهو
التراث العربي بالمفهوم الضيق ، والتراث الديني الإسلامي بالمفهوم الأشمل ، لذا فقد كان لهذه
القصيدة الأثر الواضح والكبير في الأدب العربي بصفة عامة والشعر منه بصفة خاصة ، وذلك
استناداً إلى كون نص البردة نصاً شعرياً ، فإن تأثيرها الأكبر والأوضح سيكون في مجال
الشعر العربي بشكل خاص ، وربما يتداخل هذا التأثير بشكل مباشر أو غير مباشر مع غيره

من فنون الأدب العربي الحديثة ، كالقصة والرواية والمسرح والمقالة وغيرها من الفنون الحديثة

وقد يمكن الوقوفُ على تأثير قصيدة البردة في الأدب العربي الحديث ، بنظرةٍ سريعة على المعارضات الشعرية القديمة والحديثة التي تنافس الشعراءُ في كتابتها ليتجاوزا بها قصيدة البردة أو يصلوا إلى مرحلةٍ فنيةٍ مُقاربة لها ، نجد في هذه المعارضات أثراً من الآثار الإيجابية التي أحدثتها قصيدة البردة بين سائر الشعراء ، وهو إذكاءُ شعلة فن معارضة قصيدة البردة ، ويمتد هذا الأثر إلى المؤلفات الأدبية التي تناولت البردة بالنقد والشرح والتفصيل لأبياتها ، وتلك الدراسات المعاصرة الأكاديمية التي تعرّضت لقصيدة البردة بشكلٍ مُفصّل ، ولشاعرها البوصيري ، وكل ما يتعلّق بالقصيدة ، إضافةً إلى المقالات العلمية المنشورة في الكثير من المجلات والصحف والدوريات العلمية والأدبية ، والتي تحدّثت عن جوانب مهمة من قصيدة البردة ، وألقت الأضواء على مناطق غير مطروقة سلفاً في القصيدة .

وسأطرق في هذا المبحث إلى أثر قصيدة البردة في الأدب العربي الحديث ، مع الإشارة إلى أن أثر قصيدة البردة في الأدب العربي القديم –والشعر تحديداً– أوسع من أثرها في الأدب العربي الحديث ، ولا بد والحالة هكذا أن أقف على المفهوم الأشمل لما يمكن تسميته بالعصر الحديث من الناحية الأدبية ، وذلك لاختلاف المقصود بمفهوم العصر الحديث من مجالٍ لآخر ، ولتكون المنطقة الزمنية لبداية العصر الأدبي الحديث ، نقطة الانطلاق لقراءة الأثر الذي أحدثته البردة منذ ذلك العصر إلى لحظتنا هذه .

وقد اختار الكثير من المهتمين بالأدب العربي الحديث زمن الحملة الفرنسية التي قادها الجنرال الفرنسي نابليون بونابرت¹ على مصر ، ليكون هو الحد الزمني الذي يبدأ منه العصر

¹ نابليون بونابرت من أعمال جاك لوي دافيد ، قائد عسكري وإمبراطور فرنسي ، ولد في جزيرة كورسيكا عاش في الفترة من (1769 – 1821م) نقلاً عن الموسوعة الحرة، ويكيبيديا.

الأدبي الحديث ، وكانت هذه الحملة في العام 1798 م / 1212هـ وقد (جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر لتمزق قناع الجمود الذي أسدله الحكمُ العثماني على الفكر العربي ، واستغرق التجديد الذي أراده محمد علي¹ -1265هـ/1849م- ليدفع به دماً جديداً في شرايين الحياة في العالم العربي كله فترةً طويلةً من الزمان ...)².

وبهذا الحد الزمني الفاصل سيتلخص البحث في الوقوف على بعض الآثار التي أحدثتها قصيدة البردة في الأدب العربي من عام 1798م/1212هـ وما يليها من سنين إلى لحظتنا الزمنية هذه .

أحدثت قصيدة البردة آثاراً عامة وأخرى خاصة لا يمكن جحدها أو إنكارها في مسيرة الأدب العربي الحديث ، ومن آثارها العامة تلك التي تجاوزت ميادين الأدباء والبلغاء والشعراء لتصل إلى العامة ممن تلقوها بالقبول ، وهاموا في قراءتها وإنشادها واستذكارها ، كلما عنت لهم فرصُ القراءة والإنشاد ، ولكن الأثر الذي يهمننا هنا هو ذلك الذي أحدثته القصيدة في الأدب العربي الحديث ، وربما يتضح الأثر العام هنا لقصيدة البردة على الشعر والشعراء في كونها قد كانت الخطوة الأولى للكثير من الشعراء الذين حاولوا الولوج من باب القصيدة ، ولكنهم لم يستطيعوا ذلك ، حتى عنت لهم فكرة الولوج إلى عالم الشعر عن طريق ترسُّم طريق البردة ، وهي هنا -أعني القصيدة- تُسهّم في تفتيق مكامن الشاعرية لدى هؤلاء الشعراء في محاولاتهم الأولى للكتابة ، (ويتضح ذلك من تصريح بعض الكتّاب الذين نظموا الشعر بأن البردة كانت سبباً من الأسباب التي دفعتهم إلى قرض الشعر ، بل كانت البردة

¹ محمد علي باشا بن إبراهيم آغا بن علي، مؤسس آخر دولة ملكية بمصر. ألباني الأصل، مستعرب، ولد في قولة التابعة لمحافظة مقدونيا شمال اليونان ، عاش في الفترة من (1769م - 1848م) الأعلام للزركلي ج 6 ص 298 ، الموسوعة الحرة ويكيبيديا

² هدارة، الدكتور محمد مصطفى، دراسات في الأدب العربي الحديث ، ط 1 (دار العلوم العربية للطباعة والنشر-بيروت - لبنان- 1410هـ/1990م) ص 16

أحد أساتذتهم في نظم الشعر ، ومن هؤلاء الشعراء ، الشاعر عبد العليم القباني ¹ ، الذي يقول في معرض حديثه عن البردة عندما سمعها تُنشد في مسجد البوصيري بالإسكندرية بنغمة موسيقية جميلة : ... وربما كان هذا الدرس الأول الذي تلقيته في طريقة نظم الشعر ، إذ تعودتُ أن أنظم على نسق هذه النغمة أبياتاً توشك أن تكون بلا معنى ، وإن كنتُ لا أخطئُ في وزنها الذي عرفتُ فيما بعد أنّهم – المشتغلون بالشعر – يسمونه البحر البسيط . وإنك لتعجب إذا رأيت كثرة هؤلاء الشعراء الذين أثرت فيهم البردة ، فقام بعضهم بتضمينها وتشطيرها ، وتخميسها وتسييعها وتشطيرها .²

والملاحظ أن تأثير قصيدة البردة حديثاً ينصرف إلى الشعر بشكل خاص ، ولم يكن نصيبُ الفنون الأدبية الحديثة المعاصرة كبيراً في التأثر بالبردة – حسب بحثي – وهذا ما سيجعل التركيز منصباً على الشعر كشكلٍ من أشكال الكتابة الأدبية المعاصرة ، وأبدأ هنا بذكر الأثر الأول من آثار قصيدة البردة الخاصة في الأدب العربي الحديث ، وهو المعارضة الشعرية : وقد ذكرتُ في المبحثين الأول والثاني من الفصل الأول من هذا البحث ما يتعلّق بالمعارضة من حيث المعنى اللغوي والاصطلاحي ، ونماذج من المعارضات الشعرية لقصيدة البردة .

ولكن تلك النماذج التي ذكرتها هي نماذج غير مرتبة زمنياً لم تقترن بالعصر الحديث ، وسأوجز هنا ذكر بعض الأمثلة التي عارضت البردة بشكل مُقتضب في الأدب العربي الحديث متجاوزاً المعارضات التي أشرتُ إليها سلفاً في المبحث الثاني من الفصل الأول .

¹ عبد العليم محمد القباني ، شاعر مصري وُلد بمصر ، محافظة كفر الشيخ ، وفاز بالعديد من الجوائز الأدبية ، عاش في الفترة ما بين (1918 – 2001م) الموسوعة الحرة ويكيبيديا .

² يحيى ، الدكتور جابر عبد الرحمن سالم ، بردة البوصيري ومعارضاتها في العصر الحديث ، دراسة وتحليل وموازنة ، (جامعة الأزهر – كلية اللغة العربية – 1398هـ / 1978م) جامعة أم القرى – مكة المكرمة – قسم المخطوطات – رقم 782 ص 240 – 242 بتصرف .

وأول هذه المعارضات الشعرية وهي أول معارضة شعرية للبردة في العصر الحديث وقد كُتبت القصيدة قبل أن يكتب شوقي قصيدته التي عارض بها البردة¹ ، والقصيدة للسيد علي بن حسن الملقب بالدرويش² ، ومطلع قصيدته :

لِلطَرَفِ مَطْلَعِ بَدْرِ الحَسَنِ قَالَ : رَمِ حَتَّى اسْتَهَلَّ وَقَلْبِي بِالغَرَامِ رُمِي³

وقد بحث عن ديوان الشاعر علي بن حسن ، أو أي مصدرٍ آخر يمكن أن أجد فيه نص القصيدة كاملاً ، ولكنني لم أقف على غير مطلعها المثبت هنا.

كذلك تأثرت الشاعرة المصرية عائشة التيمورية⁴ بقصيدة البردة ونسجت على منوالها قصيدةً معارضة ، تقول في مُفتتحها :

أَعْنِ وَمِيضِ سَرَى فِي حَنْدُسِ
الظُّلْمِ
أَمْ نَسِمَةٌ هَاجَتْ الْأَشْوَاقَ مِنْ أَضْمِ

فَجَدَّدَتْ لِي عَهْدًا بِالغَرَامِ مَضَى
وَشَاقَبَنِي نَحْوَ أَحْبَابِي بِذِي سِمْسَمِ

دَعَا فُؤَادِي مِنْ بَعْدِ السُّلُوبِ
إِلَى مَا كُنْتُ أَعْهَدُ فِي قَلْبِي مِنَ الْقَدَمِ

¹ المرجع السابق، ص 281

² السيد علي بن حسن بن إبراهيم المصري الشهير بالدرويش ، نشأ بالقاهرة وكانت له منزلة رفيعة بين الأمراء والوجهاء ، مات سنة 1853هـ/1270م (زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية ، (ط دار الهلال ، القاهرة ، مصر) - ج 4 ص 212

³ يحيى، مرجع سابق ، ص 283

⁴ عائشة عصمت بنت إسماعيل باشا ابن محمد كاشف تيمور ، شاعرة، أديبة، من نوابغ مصر. كانت تنظم الشعر بالعربية والتركية والفارسية، عاشت في الفترة ما بين (1840 - 1902م) الأعلام للزركلي ، ج 3 ص 240

وَهَاجَنِي لِحَبِيبِ عِشْقٍ مَنظَرَهُ يَمْحُو وَيُثَبِّتُ مَا يَهْوَاهُ مِنْ عَدَمٍ ي

يَمْحُو سُؤْلُو ي كَمَا يَمْحُو إِسَاءَتَهُ حَسْبِي لَهُ فَعْدَائِي فِيهِ كَالنَّعَمِ

رَامَ الْوُشَاةُ سُؤْلُو ي عَنْ مَحَبَّتِهِ وَكَمْ أُوفِّ لَهُمْ عَدْلًا وَكَمْ أُرْمِ

كَيْفَ اسْتَنَارَ الْجَوَى يَا مَنْ تَمَلَّكَنِي وَشَاهَدَ الْعِشْقَ فِي الْعُشَاقِ كَالْعَلَمِ

وَمَنْ تَأَثَّرَ بِالْبُرْدَةِ وَكَتَبَ قَصِيدَةً مَعَارِضَةً لَهَا الشَّاعِرُ ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ¹ ، وَلَهُ قَصِيدَةٌ
يَفْتَتِحُهَا بِقَوْلِهِ :

أَغْرَى بِكَ الشُّوقُ بَعْدَ الشَّيْبِ سَارٍ طَوَى الْبَيْدَ مِنْ نَجْدٍ إِلَى الْهَرَمِ ²
وَالْهَرَمِ

وَيَسِيرُ الشَّاعِرُ فِي قَصِيدَتِهِ عَلَى ذَاتِ الْمُنْهَجِ الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ الْبُوصَيْرِيُّ فَيَقُولُ :

يَا سَارِي الطَّيْفِ يَجْتَابُ الظَّلَامَ إِلَى جَفْنٍ مَعَ النَّجْمِ لَمْ يَهْدَأْ وَلَمْ يَنْمِ

طَهَ أَبُو قَاسِمِ الْمَبْعُوثِ مِنْ مَضْرٍ إِلَى الْبَرِيَّةِ مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجْمِ

تَنْفَسْتَ عَنْ سَنَا شَمْسِ الْوُجُودِ بَدَا فِي مَوَكِبٍ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ مُنْتَظِمِ

¹محمد بن عبد المطلب بن واصل، شاعر مصري، عاش في الفترة ما بين (1871 - 1931م)

²يحيى، مرجع سابق، ص 580

روح الحياتين نور القريتين إما

م القبلتين صفي الله في القدم

بالنور بالحق بالعرفان أرسله الله

الذي علم الإنسان بالقلم

لم يبق حين تحداهم به لسن

إلا تردى شعار العبي واللسم

1

وبسرِدٍ مُقتضب لبعض الأسماء الشعرية التي تأثرت بقصيدة البردة أذكر هذه الأسماء :

1- أحمد فهمي محمد، المولود بالجيزة بمصر عام 1896م ، والمتوفى سنة 1975م.²

وقد كتب قصيدته على ذات المنوال الذي كتبه البوصيري ، وهذه أولى أبيات قصيدته :

دع ذكر ريمٍ وذكرَ البان والعلم

وانهض لذكر ربيع الناس والحرم

واذكر حديثاً عن المختار مشرقه

منورٌ بين وضياءٍ ومبتسم

وهذب النفس بالذكر

ى وآيتها

فإنها الآية الكبرى لمُعْتَمِ

وأيقظ القلبَ بالقرآنِ تقرأه

فإنه العروة الوثقى لمعتصم

فالنفسُ أمارَةٌ بالسوءِ ما تُرِكَتْ

وإن تصنها لمستَ الخيرِ من أمم

تمضي على أثر اللذاتِ هائمةً

وتسلُكُ السوءِ في رُغْبٍ وفي نهم

¹الدسوقي، عمر، في الأدب الحديث(دار الفكر العربي - القاهرة - مصر - 1420 هـ/ 2000م) ج 1 ص 437-438

²المرجع السابق، ص 598

فإن رجعتَ بها عن غيِّها رجعتَ

وإن أخذتَ بها نحو الحمى تُحْم

1

2- علي أحمد باكثير ، الشاعر والقاص ، المولود بحضرموت عام 1910 ، والمتوفى سنة 1969 م.²

يقول الشاعر في الأبيات الأولى من قصيدته :

يـانـجـمـة
الأمل المغشي
بالألم
كوني دليلى
ففي محلوك
الظلم

فـي لـيـلـة مـن
ليالي القُرِّ
حالكـة
صـخـابـة
بـصـدى
الأريـح
والدَّيـم

دُجى تتالى
كأمواج
المحيط بها
عقلي وقلبي وطرفي
كلُّ ذاك عمي

أكادُ أرتابُ
ففي نفسي
فأنكرها
لولا مسيبي
جسمي غير
مُتَّهم

¹ محمد، أحمد فهمي، النفحة الأحمديّة في مدح خير البرية، ط 3 (مطبعة حجازي - القاهرة- مصر - 1369هـ/1950م) ص 4

² محمد، النفحة الأحمديّة، مرجع سابق ص 614

رَهْنُ الْحَيَاةِ
بِهِ فِي
زَلَّةِ الْقَدَمِ

فِي نَفْسِي
هَائِلِ جَمٍّ
مِزَالِقُهُ

هَوْلٌ، وَحَيْدِي عَنْهَا
الْمَوْتُ مِنْ أَمِّ

عَلَى طَرِيقِ
كَحْدِ السَّيْفِ
مَسْلُكُهَا

1

لي غيرَ نورك من منجىٍّ ومعتصمٍ

فأشرفي وأنيري لي السبيل فما

3- محمود محمد جبر ، المولود بالمنيا ، عام 1906 م ، والمتوفى سنة 1981 م.²

وقد كتب الشاعر قصيدة مدحيةً للنبي -صلى الله عليه وسلم- يعارض بها البوصيري ،
ومفتتح قصيدته المسماة "نهج جديد لبردة" بقوله :

يا مبعثَ النور في الأكوان
مِنْ قَدَمِ

صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهِي
بَارِئُ النَّسَمِ

يا هاديَ الناس للإسلام والسَّلمِ

يا رحمةَ الله للدنيا
ومنقذَهَا

يا مبعثَ

البرِّ خِفِّ

ألا تهلُّ على قلبي
فُتْرُهُ؟

¹نقلًا عن موقع الشاعر علي أحمد باكثير على الشبكة العنكبوتية

²محمد، النفحة الأهدية، مرجع سابق ص 630

وطأة اللّتم

يا سيّد الرسل ما بالشوق عنك غنّي	ولا الحنينِ ولا جُرّحي بملمتم
درجتَ تحبو على أرض قد اكتسبتُ	منك الطهارةَ والتقديسَ من قدم
صوادح الطير حامت حول أيكتهها	تُزجي إلى الروض لحنَ الصادح الرنم
وفي السماء جمالٌ من بدائع	بمولد الخلد ما يختال بالوسم

1

4- محمد خليل الخطيب ، المولود بسوهاج عام 1909م ، والمتوفى سنة 1986م .²

عارض هذا الشاعرُ أيضاً قصيدة البوصيري ، وكتب على منوالها قصيدةً يقول في بدايتها :

الحمد لله ذي الإحسان والكرم	والملك والمنّ بالإيجاد والنعم
سبحانه فطر الأكوان كلّها	وبثّ فيها من الأسرار والحكم
وصيرّ المصطفى تاج الأنام ومصـ	سباح الظلام وربّ الجود والهمم

¹ جبر، محمود محمد، فمجديد للبردة، (دار الكاتب العربي - القاهرة 1957)

² المرجع السابق ص 639

أبان تشريفه للناس بالقسم

أمدّه، وبه مدّ الوجود، وقد

فأبيّ قدر لمدح الخلق كلّهم؟

أثنى عليه بأسنى الخلق خالقه

—وير العقول وهاد سائر الأمم

باب القبول ومفتاح الوصول وتـ

1

وهاديا وشفيعا يوم مزدحم

سبحانه رحمة للخلق أرسله

5- ميخائيل ويردي ، المولود بدمشق عام 1904م ، والمتوفى بها سنة 1978م .²

ويُعتبر هذا الشاعر بحق استثناءً في مجال المديح النبوي ، ومعارضة قصيدة البردة ، وذلك لأنه شاعرٌ مسيحيٌّ يؤمن بمسيحيته ويكن التقدير والإجلال الكبيرين لمحمد —صلى الله عليه وسلم— ، ما دفعه إلى أن يكتب قصيدةً مدحيةً في جناب النبي محمد —صلى الله عليه وسلم— يعارضُ فيها قصيدة البردة للبوصيري ، ويكتب قصيدته بذات الروح الإسلامية المشرقة التي تهيم بالنبي —صلى الله عليه وسلم— ، ولا يمكن لقارئ القصيدة أن يتعرّف من أدواتها وروحها على ديانة الشاعر ، ويقول الأستاذ صلاح حسن رشيد في مقالة له بهذا الخصوص بجريدة الحياة اللندنية : (يؤكد الأديب محمد عبد الشافي القوصي في كتابه الجديد «نهج البردة للشاعر المسيحي ميخائيل ويردي» والصادر عن دار «الفضيلة» في القاهرة أن من بين المعارضات الشعرية لقصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي «نهج البردة» تلك التي جادت بها قريحة الشاعر

المسيحي السوري ميخائيل خيرالله ويردي تحت عنوان «أنوار هادي الورى» وعدد أبياتها

¹ درنيقة، مرجع سابق، ص348

² ميخائيل الله ويردي موسيقي سوري ولد في دمشق وتوفي فيها، في الفترة ما بين (1904 – 1978م). نقلاً عن الموسوعة العربية ، دمشق- سوريا - المجلد الثالث ص 352

124 بيتاً من بحر البسيط. ومن أسف، فإنّ هذه القصيدة، رغم جمالياتها الفائقة، وغرضها الجليل، إلا أنّها لم تنل حظّها اللائق بها من الشهرة والذّيوع بين دارسي المدائح النبوية وشداة الأدب.

وبذلك يعدّ ويردي أول مسيحي ينظم قصيدةً في (فج البردة) على الإطلاق! وقد فتح الباب على مصراعيه أمام شعراء مسيحيين آخرين، ليحذوا حذوه، ويسلكوا مسلكه، ويسيروا على دربه وخطاه..¹

وهذه المعارضة الشعرية من شاعرٍ مسيحي يؤمن بنبيه ومعتقده، لقصيدةٍ كتبها شاعرٌ إسلامي في مديح نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-، مع ترسّم الشاعرِ المعارضِ طريقةَ الشاعرِ المعارضِ وغرضه، دليلٌ ساطع على ما أحدثته البردة من أثرٍ عظيم في الشعر العربي على وجه التحديد.

وسأذكر هنا مقطعاً من هذه القصيدة التي لم تأخذ حقها في الشبوع والذّيوع، ابتداءً من مطلعها الذي يقول فيه الشاعر:

أنوار هادي الوري في كعبة الحرم
فاضت على ذكر جيران بذي
سَلَم

وأرسلت نغم التوحيد عن
كالرّوح منطلق، كالزهر مبتسم
ملك

فمزج روحك بالروح التي
يُغنيك عن مزج دمِ ساجم بدم
ازدهرت

¹ جريدة الحياة اللندنية، قصيدة «فج البردة» للمسيحي السوري ميخائيل ويردي في مدح النبي، لصلاح حسن رشيد، عدد 27-2-2010م

وشمك العطر فواحاً بروضتها

ألذ من عشق ريم القاع والأكم

ومن يهيم بعظيم يتحد معه

بالرأي والفكر قبل الوسم والأرم

والحب صنوان: حب الروح
خيرهما

فلا تكن للهوى الفاني بملتزم

ياليت أحلام عمري لم
تضع بدداً

بحب قصر من الأوهام منهدم

وليتني لم أهتم إلا بمن
عرفوا

برقة القلب لا بالظلم والعقم

فكم حبيب إذا خالفت فكرته

جازاك بالصد قبل البحث في
التهم

ومن يساق حبيباً صد
خمرته

وسحر ألحانه يندم وينفطم

فارباً بنفسك أن تنهار
من ألم

وارباً بحسبك أن يربد من سأم

واجعل هواك رسول الله تلق به

يوم الحساب شفيحاً فائق الكرم

هذه هي الأبيات الأولى من القصيدة التي كتبها الشاعر المسيحي ميخائيل ويردي ، وللقارئ أن يتأمل فيما احتوته هذه الأبيات من روح إسلامية عميقة ، لا يمكن أن يستشعرها إلا شاعرٌ قد تشرب العقيدة الإسلامية وارتقى إلى أعلى درجات محبة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- .

ويمتد بنا زمن المعارضة الشعرية لقصيدة البردة والتي تظهر كأثر واضح للقصيدة إلى يومنا هذا ، وقد حاول الكثير من الشعراء في معارضاتهم أن يُظهروا تأثيرهم الواضح بقصيدة البوصيري في معانيها وفكرتها العامة ، مع مجانبتهم قدر الإمكان تكرار ما سبقهم إليه البوصيري من الصور والأفكار ، وهم وإن أقرّوا بتأثرهم بقصيدة البردة ودورها في تحفيز قرائهم لمعارضتها ، ولكن الواضح أن هذا التأثير لم يجعل من القصائد المعارضة نسخاً مكررةً من البردة ، إذا أصبح لكل قصيدة ما يميزها عن غيرها .

ومن القصائد المعاصرة في أيامنا هذه التي نحت إلى معارضة البوصيري القصيدة التي كتبها الشاعر المغربي محمد عريج¹ ، ويقول في مفتحتها :

ذكرته فنما في قلبي الهرم ورد الحياة ولاح البرق من ديمي

وأورق الشجر المزروع في كبدي من المحبة والإيمان والقيم

وابتلت الروح من ذكر الحبيب يروي اسم أحمد حبا قلب كل
كذا ظمي

ذكرته ذكر من أودى الغرام به وبات يشكو من الأوجاع والسقم

¹محمد عريج. شاعر مغربي معاصر، من مواليد 19 مارس 1984م بمدينة الدار البيضاء.

وذكرَ من فاض بالأشواق خافقه

ولاذ عن حِلِّه بالأدمع السُّجمِ

وبات يغزل من حبر الحنين له

برداً من الحب والأشعارِ والكلمِ

ذكرته بنمِ رطبٍ وأمنيقي

لو كان قلبي موصولاً بألفِ فمِ

وعلى ذات النهج السابق يكتب الشاعر المصري سمير مصطفى فراج¹ قصيدته المعارضة ،
ويقول في افتتاحها :

ينسابُ نورٌ إذا حَطَّ اسمُهُ قَلَمي

وذاقَ في مَدحِهِ طعمَ الضياءِ فَمي

وفي وَرَيْدي جَرَى حُبِّي لِطَلَعَتِهِ

فَيْضاً أُسَمِّيهِ خَوْفَ الحاسدينَ دَمي

وَحِينَ أَسَعَى إِلى آفاقِ رَوْضَتِهِ

تُزاحمُ العطرَ ما بينَ السَّنَا قَدَمي

فلا يُداني أبا الزَّهراءِ مَترلةً

مَنْ جاءَ في اللوحِ أو مَنْ جاءَ مِنْ
رَحِمِ

لَمْ أَلقَ ذا صَبوَةٍ إِلا بِهِ كَمَدُّ

وما عَرَفْتُ غَراماً غيرَ ذي أَلَمِ

وليسَ في العاشقينَ الحَسَنَ ذو وَلِهِ

إِلاَّ وَبَاتَ بِجُرحِ غيرِ مُلْتَمِ

وما سَمَعْتُ حديثَ العاشقينَ بلا

أهاتِهِمْ وَأَنينَ السُّهْدِ والسَّقَمِ

¹سمير مصطفى فراج حسن، شاعر مصري معاصر من مواليد 1966 م بالقاهرة .

وللشاعر السوري إبراهيم عبد الحميد الأسود ¹ قصيدة جميلة يعارض فيها البردة ،

والأبيات الأولى منها هي :

ثُمَّالَةُ الْوَجْدِ
مَنْ أَيَّامِ ذِي
سَلَمِ
أَعَيْتُ عَلَى الْبُوحِ لَمَّا
أَدَمَنْتُ أَلْمِي

أَضْمَرْتُهَا فِي ضَمِيرِي
فَاسْتَقَلَّ بِهَا
حَتَّى اسْتَوَتْ ثُمَّ
أَدَّاهَا إِلَى قَلَمِي

فَأَزْهَرَتْ بِالْمَعَانِي
الزُّهْرِ أَخِيْلَتِي
وَأَوْرَقَتْ صُورًا
خَالِبَةً كَلِمِي

وَأَطْلَعَتْ عَذْبَاتُ
الرُّوحِ عَنِّ أَدَبِ
كَوَأَسِيَاءَ بَعْدِ
عُرِّي مُشْبِهِي
الْعُقْمِ

بَنَاتُ فِكْرِي فِي
أَحْضَانِ مَوْهَبَتِي
غَزَلِي التَّرَانِيمِ
لَكِنِ عَفْفَةَ
الْقِيَمِ

قَاسَمْتُهُنَّ بِمَدْحِ
الْمِصْطَفَى شَرَفِي
فَهَمَّنَ بِي شَعْفًا
حَتَّى لَثَمَنَ فَمِي

¹ إبراهيم عبد الحميد الأسود ، شاعر سوري معاصر من مواليد 1952 م ، مدينة هجين - سوريا.

عَیِّنَ فِیْهَا
زُهَیْرًا قَیِّمَ
الْخَدَمِ

وَشِذْنَ لِي فِي بُرُوجِ
الشُّعْرِ مَمْلَكَةً

وللشاعر السعودي مفرج السيد¹ قصيدة كتبها في معارضة البردة يقول في مُفتتحها :

رمى فؤادي بسهمٍ
فاستباح دمي

ظبي من الإنس بين
الحل والحرم

هلاً رحمتَ فؤاداً في الصميمِ رُمي

يارائشَ السهمِ من
أهدابِ مقلتيهِ

عاشت بها أعين مرضى
بلا سقمِ

أوحفتَ رب الهوى في مهجةٍ
تَلَفَتُ

على براقِ سرى كالبرق في
الظلمِ

أسرى بك الله في
ليلٍ لرؤيته

لك الدليل سما عن
رتبة الخدمِ

رفيقُ مسراكِ جبريل
الأمين غدا

فيه الظنون ولا الآراء
في التهمِ

حتى رأيتَ جلال الله
ما وهِمَّتْ

بين المشاعر

ضيوفك الصيد يا جوّاد

¹مفرج السيد، شاعر سعودي معاصر من مواليد محافظة بدر، لم اقف على سنة مولده.

قد وقفوا

نزّالين بالخيم

كذلك كتب الشاعر الفلسطيني فتحي عوض¹ قصيدةً على ذات النهج ، يقول فيها :

ريمٌ لدى القصرِ بين الأيكِ والأكمِ أذكى ضراماً لدى مقهورٍ مضطرمِ

يعدو.. ويلهو.. كعاجٍ في مفاتنه برقٌ.. فأعشى.. وأيمُ اللهُ لم أنمِ

دنا.. وأوفى.. ولم يجذبٌ لواحظهُ يا ويلَ قلبي.. لأن يقعدُ.. وإن يقمِ

هفت.. وهفت.. كغيدٍ في نواعسها وخفها الطيشُ.. لهواً غير مُنصرمِ

رمقُها.. وبرمشِ العينِ أكتفها إنِّي الأجلُ.. فلم أسلبُ.. ولم أسمِ

أحيا شجوني سهمٌ من لواحظها ولا حيتٌ.. وأني الغرُّ كالقرمِ

يُحيي الجمالُ قبورا لا حياةَ بها ويقتلُ الصَّبَّ.. أو يطويه في العدمِ

وفي آخر مثالين للقصائد المكتوبة على غرار البردة ، أثبتُ هنا قصيدة الدكتور ناصر

الزهراني² من السعودية ، والتي يستهلها بقوله :

تعجب الخلق من دمعي ومن ألمي وما دروا أن حي صغته بدمي

¹فتحي عوض، أديب وشاعر فلسطيني معاصر، من مواليد 1953م وُلد في بلدة بيت أمر من أنحاء محافظة الخليل فلسطين.

²ناصر بن مسفر الزهراني، واعظ وشاعر سعودي معاصر، من مواليد عام 1963م في منطقة الباحة جنوب السعودية.

أجش كالرعد في ليل السعود
ولا

يشابه الرعد في بطشٍ وفي
غشم

كدمع عيني إذا ما عشتُ
ذكرُكُمَا

و خفق قلبٍ بنارِ الشوقِ مضطرم

يُزري بناغَةَ النعمانِ
رونقُها

ومن زهيرٍ؟ وماذا قال في هرمٍ؟

دع سيف ذي يزنٍ صفحاً
ومادحه

وتبعاً وبني شدادٍ في
إرم

ويظهر الأثر المهم للقصائد المعارضة للبردة في نقاط مهمة ، ذكرها صاحبُ كتاب "بردة البوصيري ومعارضاتها في العصر الحديث" ، وسأذكر منها :

1-معارضات البردة بعد شوقي ، بالإضافة على معارضاتها قبل شوقي ، قد ساعدت على البحث في كتب اللغة ومعاجمها التماساً للقوافي ، وخاصةً إذا كانت القصيدة طويلة النفس ، فأحيت بذلك ألفاظاً كادت تُزهق ، كما ظهرت فيها معانٍ جديدة اقتبست من القرآن الكريم والسنة النبوية .

2-أنها قد أفادت الأدب العربي نمواً واتساعاً ، وتجديداً وابتداعاً ، وأضفت إليه ثروةً رائعة من بديع الخيال ، وجزالة الأسلوب ، وسمو التعبير ...

3-مهما يكن من شيء فإن تلك المعارضات لم تخلُ من أفكارٍ جديدة وعباراتٍ فريدة ، وعاطفةٍ جيّاشة ، تدل على أن بعض المعارضات الشعرية بعامة ، ومعارضة البردة بخاصة ،

ليست كلها انفعالاً ذهنياً يدل على التقليد والمحاذاة فحسب ، ولا يُنبئُ عن أصالةٍ ومقدرةٍ تدفع الشاعر إلى تسجيل خواطره ، بعد اتباعٍ وترسُّمٍ ...

4- معارضات البردة بخاصة والمعارضات في الشعر العربي بعامه ، بما فيها من اتحاد الوزن والقافية والغرض تيسر مهمة الناقد في مجال الموازنة ، وتساعد على الوصول إلى الحكم الصحيح أو القريب منه ، وذلك لأن الموازنة بين شاعرٍ وآخر - كما يقول بعض الكتّاب - كثيراً ما تُصابُ بالتعثُّر ، أو بالطعن فيها ...¹

وننتقل إلى الأثر الثاني الذي أحدثته قصيدة البردة في الأدب العربي الحديث وهو الإسهام في تأسيس فن البديعيات، الذي يُعتبر من الفنون الأدبية التي جاءت متأخرة زمنياً إذا نُظر إلى زمن نشوئها واشتهارها كفنٍ أدبيٍّ شعريٍّ خالص ، يعتمد على أسس ومعايير خاصة به لا تشبه ولا تتلاقى مع غيرها من المعايير الأخرى للكتابات الأدبية والشعرية بشكلٍ خاص . وقد كان للتطور الثقافي والديني أثرٌ واضح في الكثير من الأغراض التعبيرية الأدبية من شعر ونثر ، وباستقراء الأدب العربي يظهر هذا الأثر جلياً واضحاً ، ويرتبط ظهور فن البديعيات بالتطور سابق الذكر ويتعلق أكثر بالجانب الديني ، ذلك أنه نشأ في كنف المديح النبوي الشعري ، ولكن بشكلٍ مختلفٍ عن القصائد المدحية العامة في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم- .

وقد تمَّ الإلماع إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي للبديعيات في التمهيد لهذا البحث² ، وما يهمنا هنا هو الإشارة إلى إسهام قصيدة البردة في نشوء هذا الفن الشعري الخالص الذي يعتمد مذهب المعارضة الشعرية في البحر والقافية والغرض ، ولكنه يجيدُ عنها في استلهامه لطريقته الخاصة التي تميزه عن غيره من الشعر ، إضافةً إلى اختصاص الكتابة الشعرية في هذا

¹ يحيى، مرجع سابق، ص 673 إلى 678 (بتصرف)

²الصفحة17

الفن بالمديح النبوي ، واشتغالها على تتبع نسق قصيدة البوصيري فحسب ، واعتمادها على توشية وتزيين الكتابة الشعرية بأنواع فن البديع العربي ، الذي يُعد طرفاً من الأطراف الثلاثة للبلاغة ، كلُّ هذه الصفات التي ميّزت البديعيات تُعطي لبردة البوصيري الفضل في نشوء هذا العلم وافتنان الشعراء فيه .

ومع أن هذا الفن الشعري قد اختطَّ طريقه منذ زمن بداياته التي تؤرِّخ ببديعية صفي الدين الحلبي المتوفى سنة 750هـ ، أي منذ القرن الثامن الهجري ، ومع ذلك فإنَّ هذا الفن على ما فيه من الكلفة والمشقة الشعرية لاعتماده على الصنعة الشعرية أكثر من الطبع ، لم يزل إلى العصر الأدبي الحديث مجال منافسةٍ بين الشعراء ، وقد كُتبت أكثر البديعيات قبل العصر الأدبي الحديث ، (أما في العصر الحديث فلعل أهم بديعية هي قصيدة الشاعر محمود صفوت الساعاتي¹ ، التي بلغ عدد أبياتها اثنين وأربعين ومائة بيت ، على غرار بديعية ابن حجة الحموي ...)².

ومن الإنصاف أن لا نبخس حق هذا الفن الأدبي الشعري ، ولا نُنقص من القيمة التي أضافها إلى ميدان الأدب بشقيه القديم منه والحديث ، وإن كان الكُتاب قد اختلفوا فيما بينهم في تقييم الأثر والقيمة التي أضافتها البديعيات للشعر العربي (فمنهم من حمل عليها بقوله : ... والذي نستطيع قوله مطمئنين إليه إنَّ الحافز الأول على هذه البديعيات إنما هو الصبغة البديعية ، أما المدح النبوي فقد دعت إليه معارضة البردة في غرضها ، ولذلك نراه مدحاً صناعياً لا روح فيه ولا قوة..)³.

بينما نظر الطرفُ الثاني إلى البديعيات نظرةً إيجابية ، فيها الكثير من الإنصاف والعدالة ، فقالوا عن البردة : (ومهما قيل في هذه البديعيات من أنها متكلِّفة ، وأنها ساقطة النظم عسرة

¹ سبقت ترجمته ، ص 43

² يحيى ، مرجع سابق ، ص 238

³ موسى ، الدكتور أحمد إبراهيم ، الصبغ البديعي في اللغة العربية ، (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1969) ص 383

الأسلوب ، ركيكة التركيب ، فهي على كل حال فنٌ شعريٌ جديد ، وُلد وشبَّ وترعرع في العصر المملوكي ، وشغل أذهان أدباء العربية حقبةً من الزمان طويلة ، وأثرى العلم والأدب من ورائه ثروة لا يُستهان بها ، وبخاصة من شروح البديع ... وهم – أصحاب البديعيات- وإن لم يلحقوه –البوصيري- في جزالة اللفظ وجودة المعنى ، لأنه كان مخلصاً لمدحه ، أمّا هم فقد استباهم البديع واستهوتهم الحلية ... وحسبُك أن تعلم أن شعراء البديعيات كثيرون ، وأن تعلم أنه ما من بديعيةٍ إلاّ تناولها النقادُ والشراحُ بالشرح والبيان¹.

وهكذا امتد أثرُ قصيدة البردة في المنحى الأدبي الخاص لحدودٍ أخرى لم تتبلور بشكلٍ تام قبل إنشاء البردة ، وحركة المعارضة الشعرية التي تلتها بعد ذلك ؛ وهنا يظهر الأثر الثالث للبردة في الأدب العربي الحديث ، وذلك في توجيه وإثراء فن الشعر الصوفي ، ولا شك في وجود الشعر الصوفي قبل قصيدة البردة وتميز هذا النوع من الشعر بأغراضٍ وسماتٍ تختص به ، وأذكر من هذه الأغراض والسمات (الزهد و الحكمة ، والوعظ و الإرشاد ، ومديح النبي – صلى الله عليه وسلم- ، وذكر الأحبة من الصحابة والتابعين وصالح المؤمنين ، والحنين إلى أرض نجدٍ والحجاز بعامة ، والأماكن المقدسة بوجهٍ خاص .. بالإضافة إلى شعر الغزل الإلهي ، وشعر الحقيقة الحمديّة ... ولقائل أن يقول : إن كثيراً من هذه الأغراض قد وُجدت قبل وجود الشعر الصوفي ، وهذا حق ، إلاّ أنّ الملاحظ على هذه الأغراض أنها لم تكتمل صورتها ، ولم تستو معانيها ، ولم تنم خصائصها الفنية إلاّ على أيدي الصوفية ، وخاصة في القرن السابع الهجري)².

الهدف هنا هو الإشارةُ إلى تأثير البردة في الشعر الصوفي بامتداده الزمني إلى لحظتنا الأدبية الراهنة ، ومساهمة البردة في تثبيت قواعد وأساسات فن الشعر الصوفي والمدائح النبوية وهي (بابٌ كبير من أبواب الشعر الصوفي ، وقد قال فيه الشعراء على مختلف العصور

¹ يحيى، مرجع سابق، ص 239-240 (بتصرف)

² المرجع السابق، ص 226

الكثيرة ، وأجادوا إجادةً بارعة ، وإمامهم في ذلك هو البوصيري صاحب البردة والهمزية) .

1

وهذا يدل على الأثر الكبير الذي أحدثه الشاعر البوصيري وقصيدته البردة ، في الشعر الصوفي الذي مازال إلى الآن منهجاً يُحتذى في الكتابة الشعرية الدينية والمدحية النبوية بوجهٍ خاص ؛ وباستعراض الأفكار الأساسية لفن الشعر الصوفي التي احتوتها البردة يظهر بجلاء تأثيرها في هذا الفن ، وسأذكر بعض هذه الأفكار التي ذكرها الدكتور جابر عبد الرحمن في كتابه "بردة البوصيري ومعارضاتها" ، وهي باختصار :

1- المديح النبوي لونٌ من ألوان الشعر الصوفي ، ولا خلاف في أن البردة قد اشتملت على كثيرٍ من هذا المديح .

2- الزهد غرضٌ من أغراض الشعر الصوفي ، وقد أشارت البردة إلى هذا الغرض عندما ذكر البوصيري قصة الجبال التي عرضت على النبي -صلى الله عليه وسلم- أن تكون له ذهباً فأبى ، وفضل أن يجوع يوماً فيصبر على قضاء الله ، ويشبع يوماً فيشكر نعمة الله ، بدلاً من أن يعيش عيشة المترفين .

3- ذهب كثيرٌ من الباحثين إلى أن المناجاة من الأغراض التي كاد الصوفية يكونون فرسان حليتها ، وآباء عذرتها ، وأبناء بجدتها ، لأنها تعبّر عن إحساساتهم الرقيقة ومشاعرهم السامية ، وعواطفهم الراقية ، وأرواحهم الصافية ، وقلوبهم المتصلة بنور الله ، وإذا صحَّ هذا القول فقد أضاف دليلاً قوياً على أن البردة من الشعر الصوفي ، إذ وردت فيها المناجاة .

4- من سمات الأدب الصوفي .. أنه يؤدي وظيفةً حيوية في الحياة ، حيث يقوم بعملية مصالحة بين الناس وبين ما يلقاهاهم في حياتهم من مأسٍ وفواجع ، وما يهجم عليهم من تصورات مهولة مفزعة لهذا المصير المجهول الذي سيصيرون إليه ... فهو لذلك من الأدب

¹خفاجي، الدكتور محمد عبد المنعم، دراسات في التصوف الإسلامي (دار الطباعة المحمدية - القاهرة - مصر) ج 2 ص 106

المتفائل الذي يُبعد اليأس والقنوط من رحمة الله عن الإنسان مهما أذنب ، وصدى هذه الدعوة موجودٌ في قصيدة البردة .

5-الأدب الصوفي قد عُنيَ عنايةً كبيرةً بالنفس والحديث عنها ، ولجأ على أسلوب التحليل النفسي الدقيق ، من حيث كان أعلام الأدب العربي يلجأون إلى أسلوب الشرح العقلي وحده غالباً ، ... ويبدو أن البوصيري قد نظر إلى نصائح الإمام الغزالي عن النفس وبخاصة إلى قوله عنها : اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ، قد خلقت أماراً بالسوء ميالةً إلى الشر ، فرارةً من الخير ... ألا ترى صدى هذه النصائح في بردة البوصيري .

6-وإذا كانت سمات الأدب الصوفي السابقة تدور حول أغراضه وأفكاره ، فإنه يمتاز أيضاً بوقدة مشبوبة في ألفاظه وعباراته ، إذ تحتشد فيه كلمات الحب والهيام ، والهوى ولوعاته ، والجحود والنكران .. ولا شك في أن البردة قد اشتملت على طرفٍ من ذلك .¹

واستطاعت البردة أن تؤثر ولو بشكلٍ غير مباشر أو مكتمل الصورة في بعض الفنون الأدبية الحديثة ، وبعيداً عن فن الشعر الذي تأثر بها بالأصالة ، تأثر فن الإنشاد المسرحي بهذه القصيدة ، وإن كان هذا الفن أقرب إلى المسرح الغنائي ، وهذا هو الأثر الرابع للقصيدة في الأدب الحديث ، فقد تمَّ تحويلها إلى عمل مسرحي إنشادي يُعرض على خشبات المسارح في بعض الدول العربية المحتفية بفن المسرح ، كمصر والإمارات ولبنان ، وفي المناسبات الدينية المختلفة ، ومن هذه التجارب التي قامت بمسرحة قصيدة البردة ، تجربة المخرج (خالد جلال على مسرح مركز الإبداع الفني بالأوبرا بالقاهرة ، فقد أراد أن تتحول القصيدة إلى حركة مسرحية دائبة، لكنها في الوقت نفسه وقورة تتفق مع معاني الأبيات وتعبر عنها. وهكذا كان التشكيل المستمر من خلال حركة الممثلين واستخدام الإضاءة بما لا يشعر المتلقي بأنه أمام قصيدة فردية تحمل صوتاً واحداً هو صوت الإمام البوصيري، وتآلق

¹يجي، مرجع سابق، ص 228-232 (بتصرف)

من الأصوات المطربة في العمل ... كما قدّم المخرج حمدي أبو العلا الذي اشتهر بتقديم العديد من الأعمال الدينية والمدائح الراقية الصادقة ، عرضاً ثانياً مسرحياً لقصيدة البردة على ذات المسرح ...)¹

والمُلفت في مسرحية " بردة البوصيري " التي قدمها المخرج حمدي أبو العلا استناده إلى نصوص دينية أخرى للبوصيري غير قصيدة البردة ، مازجاً بينها في عرضه المسرحي ، وينقل الكاتب محمد مسعد طرفاً من هذا التصور للعمل المسرحي في مقالة له أقتطع منها هذا الجزء : (تراهن أمسية " بردة البوصيري " - التي قدمتها الفرقة القومية للعروض المصرية - الغد - على تخليق حالة من المشاركة الروحانية والدينية بين المتفرج والعرض المسرحي ، وعبر ذلك الرهان فإن " بردة البوصيري " تصنع تميزها الخاص وفرادتها ، فمن خلال أفق العرض الهادف لنقل التجربة الصوفية التي يتمثلها، فإن المخرج "حمدي أبو العلا" استخدم كافة عناصره الفنية من موسيقي و غناء و أداء تمثيلي و صورة بصرية .. إلخ للتأكيد على تلك الحالة الوجدانية و الدينية بهدف نقلها ومشاركتها مع المتفرج ... وهو ما يعكس علاقة مختلفة بين العرض المسرحي و الصوفية الدينية ،ربما ليست بالجديدة على المسرح المصري، لكنها تظل دائماً هامشية و فرعية أمام التيار الأساسي للمسرح المصري الذي يظل محتفظاً بمساحة تيعيدية مع الصوفية ومحددات تلك العلاقة داخل إطار محدد لا يتجاوز في العادة استخدام بعض العناصر الأدائية للصوفية المصرية التقليدية ... تعتمد الأمسية على النص الذي أعده المخرج "حمدي أبو العلا " بشكل أساسي، فالنص المشكل من خليط متجانس من أشعار منتسبة لبردة البوصيري إلى جانب أشعار للمخرج -وربما كان هناك تواجد لمصادر أخرى- لكن النص يعلى من بردة البوصيري بشكل أساسي ويجعلها مركزه بل وعنواناً له، ومن هنا أصبح من الطبيعي أن تختفي كافة الملامح المسرحية عن النص ولا يبقى سوي صوت واحد لموضوع واحد وسط غياب لأي إطار درامي، وهي ميزة أساسية في الأمسيات

¹ نقلاً عن صحيفة الأهرام المصرية ،الثلاثاء 03 من شوال 1433هـ - 21 أغسطس 2012 السنة 137 العدد 45914

المماثلة التي لا تعتمد الأطر الدرامية التقليدية ، أو غير التقليدية ، بل وعلى العكس فإنها تطرد
الدراما بتعددتها الصوتي لتحقيق عدد من الغايات ...¹

كما قام المخرج المسرحي خالد جلال بعرض مسرحية البردة في الإمارات، بإمارة أو ظبي
رفقة فريق العمل للمسرحية الشعرية، وإن لم يكن أثر قصيدة البردة في المسرحية أو المسرح
كبيراً، إلا أن القصيدة قد لامست هذا الفن وقد تؤثر فيه مستقبلاً بشكل أكبر .

وبعد هذه الإشارة الموجزة عن أثر قصيدة البردة في المسرح العربي ، أذكر الأثر الخامس
الذي توخيته هنا وهو أثر البردة في **التأليف والشروح** ، وقد خدم قصيدة البردة الكثير من
علماء العربية والأدب ، والمهتمون بالتراث الصوتي خدمة جليلة في التأليف والشرح ،
وامتدت هذه الحركة التأليفية من زمن الشاعر البوصيري في القرن الثامن الهجري إلى الزمن
المعاصر ، وسأورد هنا بشيء من الإيجاز بعض ما حظيت به قصيدة البردة من اهتمام العلماء
من حيث التقديم للقصيدة وشرحها وإعرابها وما يلحق بذلك ، وهذه الحركة التأليفية توشك
أن تكون عصيةً على الاستقصاء التام إذا حاولنا المرور على كل نتائج هذه الحركة ، كما
ذكر صاحب كتاب "بردة البوصيري ومعارضاتها في العصر الحديث" فقال : (وأما أثر البردة
في التأليف فيتجلى بوضوح في تلك الشروح التي قيل : إنها بلغت أكثر من تسعين شرحاً ،
باللغات العربية والفارسية والتركية وغيرها من اللغات، فزادت البردة بذلك شهرةً وذيوماً لم
تبلغه قصيدة عربية أخرى) .²

هذا يدل على أن أثر البردة في التأليف شاسعٌ واسع ، خاصةً فيما قبل العصر الأدبي الحديث
، وسأقتصر هنا على المؤلفات التي تدخل زمنياً في إطار العصر الأدبي الحديث ، ودائماً ما

¹ نقلاً عن المدونة الالكترونية للكاتب محمد مسعد ، قسم المسرح .

² يحيى، مرجع سابق، ص 222

تشتمل مقدمة المطبوعات الحديثة لقصيدة البردة على مقدمة يكتبها المحقق أو الناشر ، تتضمن في الغالب تعريفاً بالشاعر البوصيري وحياته وما يتعلق بقصيدته من أهميتها وظروف إنشائها ، وربما يكون باب الشروح التي كتبها العلماء للبردة في العصر الأدبي الحديث أولى بالإلماع والذكر ، وسأورد هنا بعض شروح البردة المعاصرة ، نقلاً عن مقالة الأستاذ أسعد الطيب ، بنشرة تراثنا (بتصرف) :

1- (البردة للإمام البوصيري) شرح الشيخ إبراهيم بن محمد الباجوري الشافعي المتوفى سنة 1277هـ

2- (شرح البردة) لإبراهيم بن صالح التازوالي السوسي المتوفى سنة 1353هـ

3- (الحجة الكبرى من الفضائل الفخري في حق نبينا محمد البشري) لإبراهيم بن محمد اليلواجي، المتوفى سنة 1293 هـ

4- (المنهل الفسيح على بردة المديح) لأحمد بن جعفر بن إدريس المتوفى سنة 1340هـ

5- (شرح البردة) لأحمد بن سليمان بن كمال باشا. مخطوط في دار الكتب ، برقم 13816 ز.¹

6- (إتحاف أهل المودة بشرح البردة) أحمد بن محمد بن الحسن بناني الرباطي ، المتوفى سنة 1340هـ

7- أمين بن عمر الدمشقي الحنفي الشيبب ، المتوفى سنة 1323هـ.²

¹المنجد، صلاح الدين، معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ط1(دار الكتاب الجديد - بيروت - لبنان- 1402هـ) ص 328

²كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين ، ط1 (مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - 1414هـ/1993م) ج 3 ص 10

8- (الفحات الشاذلية في شرح البردة البوصيرية) لحسن العدوي الحمزاوي المصري المتوفى سنة 1303هـ

9- (غاية المرام في شرح برأة الإمام) لحيدر بن عبد الله الحيدري الإربلي الداغستاني المتوفى سنة 1307هـ

10- (وضح النهج) لسليم بن أبي فراج البشري المالكي ، المتوفى سنة 1335هـ

11- (عصيدة الشهدة في شرح قصيدة البردة) لعمر بن أحمد بن محمد الخربوقي الحنفي ، المتوفى سنة 1299هـ

12- (البردة للبوصيري ونهج البردة لشوقي) لفتح عثمان ، المتوفى سنة 1430هـ

13- شرح القاضي الكوباموي ، محمد ارتضاء علي بن مصطفى علي خان ، المتوفى سنة 1270هـ

14- (المنهج الفسيح في شرح بردة المديح) لمحمد بن حسن بن سعد بن فرج التهامي ، المتوفى سنة 1306هـ

15- (كشف البردة عن معاني البراءة) لمحمد زعيتر النابلسي ، مات بعد 1302هـ

16- شرح البردة لمحمد بن المبارك الهشتوكي ، المتوفى سنة 1313هـ

17- شرح البردة لمحمد بن المعطي بن أحمد المراكشي ، المتوفى سنة 1296هـ

18- (شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح) للطاهر بن محمد ابن عاشورالتونسي ، المتوفى سنة 1284هـ

19- (فتح الوردة في شرح قصيدة البردة) لمحمد فوزي بن عبد الله الرومي ، المتوفى سنة 1318هـ

20- (الخلاص من الشدة في شرح قصيدة البردة) لمحمد بن علاء الدين الشهير بابن الفصي ،
المتوفى سنة 1241هـ

21- (الدرة الفريدة في مهمات القصيدة) لمحمد معروف بن مصطفى الشهرزوري البرزنجي
المتوفى سنة 1254هـ

22- (النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصيرية) لحسن العدوي الحمزاوي المصري المتوفى
سنة 1303هـ.¹

وبالاطلاع على بقية الشروح الغابرة التي سبقت العصر الأدبي الحديث ، وقفتُ على كمٍّ هائل من الشروح التي تفانى العلماء عرباً وعجماً في كتابتها ، وهي بلا شك تدلل على مدى ما يكونونه في أنفسهم من احترامٍ وتقديرٍ كبيرين لقصيدة البردة ، ودليلٌ على الأثر الكبير الذي لا يُجارى للبردة في ميدانِ التأليف الأدبي الإسلامي ، والشروحات بشكلٍ خاص.

وقد صاحبت حركة الشروحات لقصيدة البردة ، حركة تأليفية أخرى هي إعراب البردة ، ولكنها أقل نشاطاً من حركة الشروح في العصر الحديث، ومن هذه الشروح ، كتاب " العمدة في إعراب البردة، قصيدة البوصيري " ² ، وهو مجهول المؤلف ، وقد قام بتحقيقه عبد الله أحمد جاجة ، إضافةً إلى كتابٍ آخر يحمل نفس العنوان السابق " العمدة في إعراب البردة " للدكتور محمد الديدواوي ، كما أن هناك مؤلف آخر اهتم بإعراب البردة ، بعنوان " إعراب البردة " لعبد الناصر أبو هارون ، إضافةً إلى كتاب " البردة شرحاً وإعراباً وبلاغة - لطلاب المعاهد والجامعات " لمحمد يحيى الحلو ، وهذه الكتب قد اهتمت بإعراب البردة وتسهيل فهمها على المريدين لها من طلبة العلم وعامة الناس .

¹ نقلاً عن نشرة تراثنا - الصادرة عن مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - (العدد 41/42 - شبكة رافد الالكترونية) ص 158 - 200 (بتصرف شديد ، وإضافات).

² ذكرت هذا الكتاب ضمن الحركة التأليفية في العصر الحديث، لأن مؤلفه مجهول، ولأن محققه معاصر، إضافةً إلى أن الكتاب أصبح يُنسب لدى البعض إلى المحقق.

وهكذا يظل للبردة أثرها الذي لا يمكن إنكاره بحال ، كيف لا وقد حافظت على مكانتها بين سائر قصيد المديح النبوي العربي ، وقد أثبتُّ هنا طرفاً موجزاً من آثارها في فنونٍ شتَّى من الأدب العربي ، وبأملٍ المسافة الزمنية لإنشاء قصيدة البردة إلى زمننا هذا ، والتي تعادل ثمانية قرونٍ من الزمن ، يتبيّن لنا أنّه لا يمكن لأيِّ نصِّ شعريٍّ مهما علت مرتبة كاتبه ، أو ارتقت قيمته الفنية ، أن يحافظ على رونقه وعدوبته طيلة هذه القرون ، وأن يتجاوز هذا كله إلى التأثير في فنونٍ أخرى كثيرة ، من فنون العربية ، وغيرها .

ويستمر أثر قصيدة البردة ويمتدّ أشير هنا إلى **الدراسات الأكاديمية ، والتأليفات العامة** وهو ما يمكن اعتباره الأثر السادس للقصيدة، فقد أسهمت في تحفيز تلك الدراسات والتأليفات التي تسعى إلى إعادة اكتشاف هذه القصيدة وشاعرها ، وفك بعض رموزها المستغلقة ، وتحليل ظروف كتابتها ، والتعريح على ما في القصيدة من صور وأساليب بلاغية ، وغير ذلك مما يتسع مجال البحث الأكاديمي له ، ولم تقف هذه الحركة على العالم العربي فقط ، بل تجاوزته إلى أكثر الأقطار الإسلامية ، وهي حركة تأليفية واسعة ، بكل ما تعنيه العبارة ، وسأذكر هنا بعض هذه الإضافات العلمية التأليفية :

1- (ثلاثية البردة) لحسن حسين ، وهذا الكتاب وإن لم يكن خالصاً في دراسة بردة البوصيري فقط ، إلا أنه قد أفرد الفصل الثاني من مؤلفه للتعريف بالبردة وشاعرها وشرحها .

2- (بردة البوصيري ومعارضاتها في العصر الحديث دراسة وتحليل وموازنة) للدكتور جابر عبد الرحمن سالم ، والمؤلف بحث مقدم لنيل الدكتوراة بجامعة الأزهر العام 1978م ، والبحث مفيدٌ جداً لاشتماله على ال طرح والدراسة التحليلية لقصيدة البردة ، والقصائد المعارضة للبردة .

- 3- (بردة البوصيري بالمغرب والأندلس خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، آثارها العلمية وشروحها الأدبية) للدكتور سعيد بن الأحرش ، وهو في الأصل أطروحة نال بها صاحبها درجة دكتوراة الدولة بوحدة الأدب المغربي والأندلسي، العام 1998م .
- 4- (بناء الجملة الاسمية في شعر الإمام البوصيري) للدكتور أحمد محمد الصغير علي ، والمؤلف بحث مقدم لنيل الماجستير في النحو و الصرف و العروض من كلية (الدراسات العربية سابقا) دار علوم جامعة المنيا - 1994م .
- 5- (تناص الشعر العربي الحديث مع بردة البوصيري) للدكتور محمد فتح الله مصباح .
- 6- (بردة البوصيري وأثرها في الأدب العربي القديم) للدكتور محمد فتح الله مصباح ، هذا الكتاب والذي سبقه ، هما في الأصل عملين كانا موضوع أطروحة دكتوراة حصلت عليها الباحثة من جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية العام 2006 .
- 7- (شعر شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري -دراسة أسلوبية) للأستاذ إياد أحمد علي قاسم ، والبحث أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير ، جامعة عدن كلية التربية ، قسم اللغة العربية العام 2010م .
- 8- (شعر المديح النبوي بين البوصيري والبرعي دراسة تحليلية موازنة) للأستاذ صديق خضير صكبان ، والبحث مقدّم لنيل درجة الماجستير ، الجامعة العراقية ، كلية الآداب ، العام 2012م .
- 9- (تجليات الشخصية المحمدية في مدائح البوصيري) للأستاذة فهيدة مصطفى بيره جكلي ، والبحث مقدّم لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب جامعة حلب العام 2011م .

10- (الأمام البوصيري وبردته) للدكتور إسماعيل حقي سزر ، والبحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في الأدب الإسلامي ، قونيا جامعة سلجوق ، تركيا ، العام 1980م .

هذه إطلالة موجزة على بعض الدراسات الأكاديمية ، والتأليفات العامة المعاصرة ، التي اهتمت بالبردة وشاعرها البوصيري ، وهي بحق أكثر من أن تُحصَر في مبحثٍ بسيطٍ كهذا ، ولعلَّ تنوع أعراق وجنسيات المهتمين بهذه الدراسات يدلُّ على تأثير البردة الشامل لكل أقطار العالم الإسلامي .

ولعل من تمام القول الإشارة هنا إلى أحد الفنون الأدبية الحديثة وهو **فن المقالة** ، وهي من الفنون التي أخذها العربُ حديثاً عن الغرب كما ذكر ذلك الدكتور شوقي ضيف في كتابه " الأدب العربي المعاصر في مصر " ، وقد أنشأها عندهم ضرورات والحياة العصرية والصحفية¹ ، ومادامت المقالة تنقسم إلى أقسام كثيرة ، كالمقالة الأدبية والنقدية والسياسية والتعليمية وغيرها من الأنواع ، كان لزاماً أن تجد البردة طريقها إلى المقالات الأدبية والنقدية التي ضحّت بها صفحات الصحف السيّارة والمجلات الأدبية وغيرها ، وهناك كمٌّ هائل من هذه المقالات المتوالية — والتي تتناول بردة البوصيري بالقراءة والنقد والتحليل ، والرد على منتقدي القصيدة وشاعرها من وجهة النظر الدينية ، وما زالت هذه المقالات تُكتب وتُنشر على الملأ ، وإن لم يكن تأثير البردة واضحاً فيها من حيث التزامها بفكرةٍ محددة ، أو غرضٍ واضح المعالم ، إلاّ أنها تجري في فلكٍ خاص يُعطي قصيدة البردة ميزةً تمتازُ بها عن الكثير من القصائد التي أحدثت موجةً من الجدل والنقاش إلى يومنا الحاضر .

وبالوقوف على هذه الآثار التي أحدثتها قصيدة البردة في الأدب العربي الحديث ، يتضح امتداد تأثير هذه القصيدة منذ زمن إنشائها إلى لحظتنا هذه ، والتي تتجاوز القرون السبعة ،

¹ ضيف، الدكتور شوقي، الأدب العربي المعاصر في مصر ، ط10 (دار المعارف- القاهرة-مصر-1992) ص 205

وربما سيكون لها تأثيراً أكبر على شتى فنون الأدب الحديث في قابل الزمن ، إذ إنها من النصوص الشعرية التي يصعب أن تقف بتأثيرها عند مرحلةٍ زمنيةٍ معينة .

وبهذه الوقفات الأخيرة ، أنهى هذا المبحث آملاً أن أكون قد وفقتُ في الإلماع الموجزِ إلى هذه الإضافات الفنية والأدبية التي أضافتها القصيدةُ لأدبنا ولغتنا العربية ، مع تكرار الإشارة إلى أن آثار قصيدة البردة في التأليف والشرح والتشطير والتخميس والتسبيح والمعارضة ، وكل ما يتعلق بهذه القصيدة ، قد كانت أوضح وأجلى فيما قبل العصر الأدبي الحديث ، وذلك بتتبع الشروح والتراجم والمعارضات الشعرية ، وما يتعلّق بفن البديعيات من حيث إنشاء القصائد أو شرحها ، ولا يعني هذا أن أثر قصيدة البردة قد خفت واضمحل في العصر الأدبي الحديث ، بل تطورت أدوات المديح الشعري بتطور الشكل الخارجي لكتابة القصيدة العربية ، من الشكل العمودي الكلاسيكي إلى قصيدة التفعيلة ، والشعر النثري ، ولا شك في أن هذا التطور الشكلي سيقبل من رواج فن الكتابة الشعرية المدحية على ذات النسق العمودي ، الذي كتب عليه البوصيري قصيدته ، ولكنّ الشعراء مازالوا إلى الآن يكتبون القصيدة العربية الحديثة في شكلها وأدواتها متوحّين فكرة المديح النبوي من أسلافهم الشعراء الذي برعوا في هذا الفن ، وعلى رأسهم الشاعر الإمام محمد بن سعيد البوصيري - رحمه الله تعالى - .

(الخاتمة)

الحمد لله المحمود على كل حال، ذي المنّ والعظمة والجبروت والجلال، أحمده حمداً يليق
بجلاله وكماله، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ وآله، غرة الشمسِ وأزكى النفوس، أمّا
بعد :

فهاهو هذا البحثُ المُعنون بـ " بردة البوصيري وأثرها في الأدب العربي الحديث "
يكتمل بعد توفيق الله تعالى وفضله، وقد سبحت والله الحمد والمنة في بحورٍ من البيان
والإبداع الشعري العربي، حين شرعتُ في كتابة هذا البحث إلى اللحظة التي وقفتُ فيها عند

خاتمته، وهي بحق سياحةً فكريةً أدبيةً معرفيةً وقفتُ فيها على الكثير مما غمضَ وخفيَ عليَّ من الآثار الشعرية المدحية، والمؤلفات التي اعتنت بهذه الآثار، وتناولتها تناولاً دقيقاً فتق أكامها، وأدنى أغصانها للمجتني.

وكفى بثمره المعرفة جنىً يسعدُ به القلب، وتسمو به الروح، وسأضع هنا في هذه الخاتمة بعض ما وقفتُ عليه من ثمرات هذا البحث نتائجه، وهي كالتالي:

أولاً: أهمية قصيدة البردة للبوصيري، وأن هذه الأهمية لا تقف عند النسج الشعري فقط ولكنها تتجاوزها إلى المعنى الداخلي الذي أعطى القصيدة هالةً من الإجلال الأدبي والقدسية الدينية - إن صحَّ الوصف - كما ورد في طيات هذا البحث.

ثانياً: إعجاب العامة والخاصة بصور ربما تكون مبالغة أو خيالية في الكثير منها، وهذا ما لاحت من القصص التي حيكت حول قصيدة البردة وسبب إنشائها وما رافق ذلك من القصص.

ثالثاً: غرض المديح في الشعر العربي له أسباب ودواعي كثيرة تدفع الشاعر إليه، ولكن أذكر هذه الدوافع وأشرفها هو المديح النبوي، لأنه الأصدق والأصفى والأبعد عن طلب حظوظ الدنيا وبهرجها.

رابعاً: ثبات قصيدة البردة وتمسكها بالريادة بين سائر شعر المديح النبوي، بالرغم من الاعتراضات الكثيرة التي وجهها علماء الدين إلى القصيدة وشاعرها، واهتمام العلماء من عرب وغيرهم بالقصيدة وبشرحها، ومعارضتها من الشعراء، يؤكد رسوخ قدمها بأرض الشعر، وحسن النية والقصد لشاعرها.

خامساً: بالنظر إلى فن البديعيات لم يُحسم الأمر فيمن يملك الأولوية في كتابة القصيدة البديعية، وإن كان الشاعر صفي الدين الحلبي يُعد عند الكثيرين الرائد لهذا الفن الشعري.

سادسا: المعارضة الشعرية لا تقلل من قيمة الشاعر المعارض ولا من قصيدته، لأنها سنة سنّها الشعراء فيما بينهم، وهي من دواعي تحفيز الأدب بعمومه والشعر خاصة، لبلوغ أعلى درجات الإتقان والكمال.

سابعا: استمرار فن المعارضة الشعرية في المدح النبوية إلى زمننا هذا، بالرغم من تطور الشعر وأشكاله وأدواته ومفرداته وصوره، يؤكد أنّ المعارضة الشعرية المدح النبوية من الفنون غير القابلة للاندثار.

ثامنا: تواصل أثر قصيدة البردة في الأدب منذ تأليفها في القرن السابع الهجري إلى زمننا المعاصر، وقدرتها أن تؤثر في غيرها من الفنون الأدبية العربية المعاصرة.

تاسعا: قصيدة البردة لم تنل شهرتها التي طبقت الآفاق بسبب مغزاها والشحنة العاطفية الدينية المكثفة في القصيدة، ولكنها حوت الكثير من الصور الفنية المبهرة التي أسهمت في أن ترتقي القصيدة إلى أعلى درجات الإبداع فنياً وعاطفياً.

عاشرا: كان لقصيدة البردة تأثير في بعض فنون الأدب العربي الحديث، ولكن تأثير القصيدة في فن الشعر العربي أكثر من غيره، و يظهر ذلك في التشطيرات والتخميسات والتسبيعات وغيرها من ضروب الكتابة الشعرية التي أثرت فيها البردة تأثيراً واضحاً.

حادي عشر: امتداد أثر البردة لفن المسرح يعطيها ميزة خاصة بين سائر شعر المديح العربي، لأنها تجاوزت الإلقاء المنبري إلى خشبة المسرح، وهو انتصار للقصيدة المدح النبوية.

ثاني عشر: المؤلفات الأدبية التي اعتنت بقصيدة البردة ودرستها من الكثرة بمكانٍ يؤكد القيمة الفنية والعاطفية التي تحملها القصيدة، وهذا سببٌ من أسباب خلودها بين سائر القصائد.

وقد مررتُ في هذا البحث على الكثير من المراجع التي زادت من معرفتي بقيمة وأهمية هذه القصيدة، وأرجو أن تكون هذه الثمرات التي اجتنيتها من البحث مرشدةً إلى أهم ما مررتُ به من الفوائد والنتائج، والله الحمدُ من قبل ومن بعد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

"قائمة المراجع "

*مراجع عربية

1. القرآن الكريم
2. الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب ، ط 1 (دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - 2001)
3. الأميني، الشيخ عبد الحسين أحمد، الغدير في الكتاب والسنة والأدب - ط 1 (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان) ج ١١
4. الأندلسي، محمد بن جابر، نظم العقدين في مدح سيد الكونين ، تحقيق الدكتور أحمد فوزي الهيب ، ط 1 (دار سعد الدين - دمشق - سوريا - 2005/1426)
5. الأندلسي، محمد بن عبد الله، أبو عبد الله الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط 1 (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - 1424هـ) ج 3
6. الأنصاري، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، لسان العرب، ط3 (دار صادر - بيروت - لبنان - 1414هـ)
7. الباجوري، الشيخ إبراهيم، شرح البردة للبوصيري - ط 2 (مكتبة الآداب - القاهرة - مصر - 1413-1993)
8. البارودي، معهود سامي، كشف الغمة في مدح سيد الأمة، (مطبعة الجريدة - بسراي البارودي - بغيطة العدة بمصر - 1327هـ - مكتبة جامعة تورنتو بكندا)
9. البحاري، يونس طركي، المعارضات في الشعر الأندلسي، ط1 بتصرف (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - 2008)
10. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر ، ط1 (دار طوق النجاة - بيروت - لبنان - 1422)
11. البديعيات الخمس في مدح النبي المختار والصحابة الكرام ، مجموعة عن نسخ خط قديمة متفرقة (مطبعة المعارف - شارع الفجالة - القاهرة - مصر - 1897م)
12. البستاني، كرم، تحقيق ديوان ابن هانئ الأندلسي (دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - 1400/1980م)
13. البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون ط4 (مكتبة الخانجي - القاهرة - مصر - 1418/1997)

14. البوصيري، الإمام شرف الدين، بردة المديح المباركة، ط 1 (دار الفقيه للنشر والتوزيع - حضرموت - اليمن - 2000/1420)
15. التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنتر بن شداد، ط1 (دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - 1992/1412)
16. التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، (دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - 2007/ 1427) ج 1
17. جبر، محمود محمد، فنج جديد للبردة، (دار الكاتب العربي - القاهرة 1957)
18. الجارم، علي، ومعروف، محمد شفيق، تحقيق ديوان البارودي (دار العودة - بيروت - لبنان - 1998م)
19. حسين حسن، ثلاثية البردة بردة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ط1 (دار الكتب القطرية - الدوحة - قطر - 1400)
20. الحلبي، الشيخ قاسم البكرة، حلية البديع في مدح النبي الشفيح (طبعة عام 1293 هـ - مكتبة جامعة تورنتو - كندا)
21. الحلبي، صفى الدين، ديوان (دار صادر - بيروت - لبنان)
22. الحملاوي، أحمد بن محمد ، ديوان - تصحيح وتحقيق مصطفى السقا- (مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. القاهرة-مصر- 1957)
23. الحميدي، عبد الرحمن، الدر المنظم في مدح النبي الأعظم (ط مصر - 1322هـ)
24. خفاجي، الدكتور محمد عبد المنعم، دراسات في التصوف الإسلامي (دار الطباعة المحمدية - القاهرة - مصر)
25. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مفاتيح العلوم ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط2 (دار الكتاب العربي - دمشق - سوريا - 1989)
26. دراسات في التيارات الأدبية المعاصرة (جامعة المدينة العالمية ، ماجستير العلوم الإسلامية واللغة العربية وآدابها ، - المستوى الأول)
27. درنيقة، محمد، معجم أعلام شعراء المديح النبوي - ط1 (دار ومكتبة الهلال - بيروت - لبنان - 1996)
28. الدسوقي، عمر، في الأدب الحديث (دار الفكر العربي - القاهرة - مصر - 1420 هـ / 2000م) ج
29. الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، ط1 (دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان - 2003)

30. رشيد، مصطفى، جمع ديوان محمود صفوت - مطبعة المعارف - القاهرة 1911. (قدم للديوان ناشره مصطفى بك رشيد، والأديبان: مصطفى لطفى المنفلوطي ومحمد المويلحي)
31. الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام - ط15 (دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - 2002)
32. الزوّزّي، حسين بن أحمد، شرح المعلقات السبع ، ط1 (دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - 2002/1423)
33. زيد، عليّ أبو ، البديعيات في الأدب العربي نشأتها تطورها أثرها، ط1 (عالم الكتب - بيروت - لبنان - 1983/1403)
34. زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية ، (ط دار الهلال ، القاهرة ، مصر) ج 4
35. سبيتي، مصطفى، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، ط1 (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - 1406 / 1986) ج 1
36. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، - ط1 (دار الجيل - بيروت - لبنان - 1412هـ / 1992م)
37. السكري، صنعة الإمام أبي سعيد، ديوان كعب بن زهير، شرح د. مفيد قميحة ، ط1 (دار الشواف للطباعة والنشر - الرياض - السعودية - 1989/1410)
38. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، نظم البديع في مدح خير شفيع، (نسخة حسنة ، 1081هـ)
39. الشايب، أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ط2 (مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - مصر - 1954)
40. شوقي، أحمد، الأعمال الشعرية الكاملة المجلد الأول (دار العودة - بيروت - لبنان - 1988)
41. الشيباني أبي عمرو ، شرح المعلقات التسع، تحقيق وشرح عبد المجيد همو ، ط1 (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان - 2001 / 1422)
42. ضيف، الدكتور شوقي، الأدب العربي المعاصر في مصر ، ط10 (دار المعارف - القاهرة - مصر - 1992)
43. طريفي، الدكتور محمد نبيل، ديوان الكميت بن زيد الأسدي ، جمع وشرح وتحقيق ط1 (دار صادر - بيروت - لبنان - 2000)
44. بن عاشور، الشيخ محمد الطاهر، جمع وشرح ديوان بشار بن برد ، ط1 (وزارة الثقافة - الجزائر - 2007م)
45. بن عبد الرسول، القاضي عبد النبي، دستور العلماء، تعريب حسن هاني فحص ، ط1 (دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت - 2000 / 1421)
46. الغوري، سيد عبد الماجد، ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة، ط3 (دار ابن كثير للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - 2007/1428)

47. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، ط (دار ومكتبة الهلال - بيروت - لبنان) ج 1
48. فرحات، د. يوسف، شرح ديوان ابن زيدون، ط2 (دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - 1995/1415)
49. كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين ، ط 1 (مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - 1414هـ/1993م) ج3
50. مبارك، علي، الخطط التوفيقية — ط 1 - بولاق، المطبعة الكبرى الأميرية - مصر - 1306هـ) ج 9
51. محمد، أحمد فهمي، النفحة الأحمديّة في مدح خير البرية، ط 3 (مطبعة حجازي - القاهرة - مصر - 1369هـ/1950م)
52. المراكشي، زويريق، ديوان علي النهج، ط 1 (دار وليلي للنشر والتوزيع - مراكش - المغرب - 2004)
53. موسى، الدكتور أحمد إبراهيم، الصبغ البديعي في اللغة العربية، (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1969)
54. المغيص، تركي ، التناص في معارضات البارودي (مجلة أبحاث اليرموك - مجلد 9- عدد 1991م - 2م)
55. المقرئزي، أحمد بن علي ، إمتاع الأسماع ، ، تحقيق محمد النميسي ، ط1 (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - 1420 - 1999)
56. مكّي، الدكتور محمود علي، أدبيات المدائح النبوية، ط1 (مكتبة لبنان و الدرا المصرية العالمية للنشر لونجمان - القاهرة - مصر - 1991)
57. المنجد، صلاح الدين، معجم ما ألفت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ط1 (دار الكتاب الجديد - بيروت - لبنان - 1402هـ)
58. الموسوعة العربية ، دمشق - سوريا - المجلد الثالث
59. ناصر الدين، مهدي محمد، شرح ديوان الأخطل، ، ط2 (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - 1994/1414)
60. ناصيف، إميل ، أروع ما قيل في الإخوانيات ، ط 1 (دار الجليل - بيروت - لبنان - 1996/1416)
61. هدارة، الدكتور محمد مصطفى، دراسات في الأدب العربي الحديث، ط 1 (دار العلوم العربية للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - 1410هـ/1990م)
62. الوردي، علي، أسطورة الأدب الرفيع، ط 1 (دار الوراق للنشر المحدودة - بيروت - لبنان 2009)

63. يحيى، الدكتور جابر عبد الرحمن سالم، بردة البوصيري ومعارضاتها في العصر الحديث، دراسة وتحليل وموازنة، (جامعة الأزهر-كلية اللغة العربية-1398هـ/1978م) جامعة أم القرى- مكة المكرمة - قسم المخطوطات - رقم 782

***مراجع إلكترونية - صحف - برمجيات**

1. التيمورية، عائشة، ديوان مخطوط، بواسطة (منتدى أهل الحديث الالكتروني)
2. جريدة الحياة اللندنية
3. صحيفة الأهرام المصرية
4. المدونة الالكترونية للكاتب محمد مسعد ، قسم المسرح
5. المكتبة الشاملة الالكترونية
6. الموسوعة الحرة، ويكيبيديا
7. موقع الشاعر علي أحمد باكثير على الشبكة العنكبوتية
8. نشرة تراثنا - الصادرة عن مؤسسة آل البيت لإحياء التراث(العدد 41/42 - شبكة رافد الالكترونية)